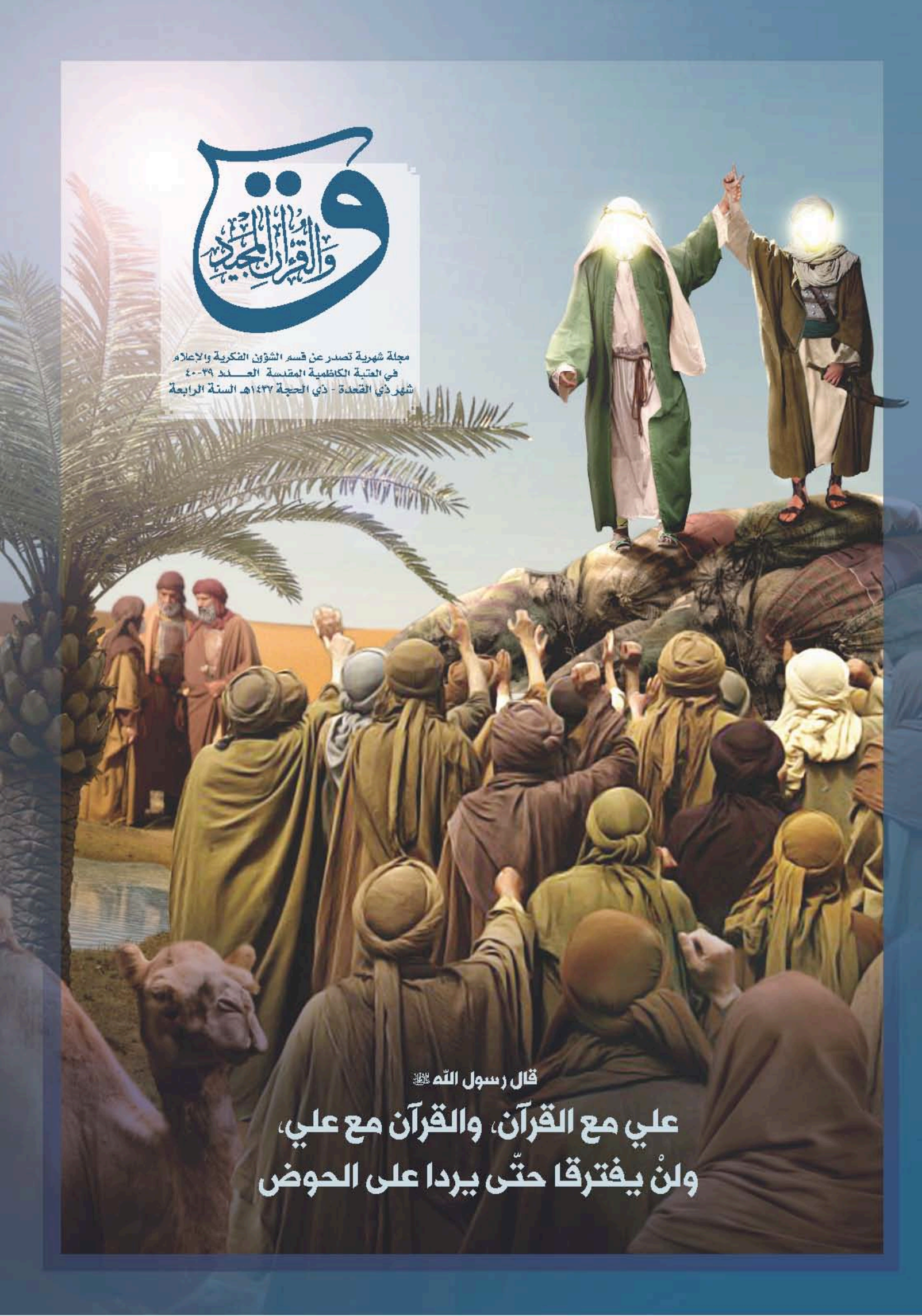

مجلة شهرية تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والإعلام
في العتبة الكاظمية المقدسة العـــدد ٣٩-٤٠
شهر ذي القعدة - ذي الحجة ١٤٣٧هـ السنة الرابعة

قال رسول الله ﷺ

علي مع القرآن، والقرآن مع علي،
ولنْ يفترقا حتّى يردا على الحوض

العتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

العدد ٣٩-٤٠ / ذو القعدة - ذو الحجة
السنـــــة الرابعـــــة ١٤٣٧هـ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣

زورونا
www.aljawadain.org

٢٢
ضيف العدد
القارئ محمد مهدي المنصور

١٢	الهدف من الحياة في القرآن الكريم / الدكتور جيفري لانغ
٢٠	أحكام حرف الهاء
٢٤	أضواء من قناديل رائية الخاقاني في التجويد
٣٠	الوعظ والإرشاد في الأسلوب القرآني
٣٤	كيف السبيل والمسير
٣٨	تحليل صوت القارئ الشيخ سيد متولي عبد العال

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
رعد عبد الله التميمي

السلامة الفكرية
الشيخ د. عماد الكاظمي
الشيخ نجم عبد الرضا

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
قيصر باسم خزعل

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ

إنَّ للقرآن الكريم سِرًّا عظيمًا في خلوده وتشريعه، فمنذ أكثر من أربعة عشر قرنًا وأذانه شاهد عبر التأريخ، مُوَثِّقًا لما أمر الله تعالى نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام من قبل بدعوة الناس إلى حج بيت الله الحرام، إذ قال في خطابه: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ - الحج - الآية - ٢٧﴾، فكانت الاستجابة لذلك، بسعي القلوب والأبدان إليه،والتوجه نحوه، وكُلُّ ينادي بصوتٍ واحدٍ: (لبيك اللهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك)، فالوحدة قائمة في ظاهرها في كثير من معالم التوحيد، فكانت دعوته عليه السلام في غاية الصدق والإخلاص في الاستجابة إليها، وما هذه الجموع إلا من آثارها العظيمة المباركة التي لا يمكن أنْ توصف بكلمات وسطور، بل بقلوب وأرواح، ومن ثَمَّ دعا الله ربه أنْ يبعث في هذه الأمة مَنْ يقيم أسس تلك التلبية فقال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - البقرة - الآية - ١٢٩﴾، فاستجاب الله دعوته على مقدار صدقها فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ - آل عمران - الآية - ١٦٤﴾، فبعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله ينادي في الأمة لتلبيةِ الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة، فالتلبية هي لزوم الطاعة والإجابة مطلقًا، وعلينا أنْ نكون مِمَّن يلبي نداء الشريعة المقدسة في كُلِّ آنٍ ومكانٍ، وليس في أيام معدودات، فالثقلان - القرآن والعترة- يناداننا إلى التمسك بمكارم الأخلاق، والإحسان والمحبة، والتعاون على البر والتقوى، وإكرامهما ومودتهما إلى غير ذلك من مبادىء الشريعة المقدسة، فلتكن تلبيتنا إليهما متصلة بالعقل والأبدان، وبالعرفان والجنان، لا بالجهل ولقلقة اللسان، إنه بعباده رؤوف مَنَّان ..

العروة الوثقى

• محمد عبد الحسين المالكي

مما أُثر عن العترة الطاهرة وتسالم عليه العامة أيضاً قول النبي الأعظم ﷺ: (من أحبَّ أن يتمسَّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسَّك بولاية أخي ووصيّي عليّ بن أبي طالب؛ فإنَّه لا يهلك من أحبّه وتولاّه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه)[1]. وفي رواية أخرى: (من أحبَّ أن يتمسك بالعروة الوثقى فليتمسَّك بحبّ عليّ وأهل بيتي)[2]. رواه أيضا العلامة البحراني عن أبي الحسن الفقيه محمد بن علي بن شاذان في المناقب المائة من طريق العامة بحذف الإسناد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (معاشر الناس اعلموا أن لله تعالى باباً من دخله أمن من النار ومن الفزع الأكبر، فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال: يا رسول الله اهدنا لهذا الباب حتى نعرفه قال: هو علي بن أبي طالب سيد الوصيين، وأمير المؤمنين عليه السلام، وأخو رسول رب العالمين، وخليفة الله على الناس أجمعين، معاشر الناس: من أحبَّ أن يتمسَّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسَّك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فولايته ولايتي، وطاعته طاعتي، معاشر الناس: من أحبَّ أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب عليه السلام. معاشر الناس: من سرّه ليقتدي بي فعليه أن يتولّى ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريتي فإنهم خُزّان علمي)[3]، الرواية على اختلاف ألفاظها تنصُّ على وجوب التمسُّك بولاية الإمام علي عليه السلام وطاعته نصّاً صريحاً، ثم يُردف الرسول ﷺ كلامه بأن ولاية الإمام مقترنة بولايته وغير منفكّة عنها، وأن طاعة الإمام هي طاعة الرسول نفسها من دون فرق أو اختلاف، ثم يستطرد حديثه بأن هذا التمسُّك هو تمسُّك بالعروة الوثقى والتي من صفاتها عدم الانفصام، ومعنى العروة الوثقى: العقد الوثيق، على التشبيه بالعروة التي يُستمسك بها و يُستوثق، مأخوذة من عروة الدلو والكوز ونحوه أي: مقبضه، وفي الحديث: إن معناه التسليم لأهل البيت عليهم السلام[4]، كما أن في الحديث إشارة واضحة إلى منزلة مبغضي الإمام وأهل البيت عليهم السلام، ومثوى من يُعاديهم وينصب لهم العداء، ووصفهم بأنهم لا ينجون من الهلاك والمهلكة. على العكس ممن يتولّاهم ويأتمر بأوامرهم فهو من الناجين من الهلاك ومن المطيعين لرسول الله ﷺ، بشرط التعرُّف على الإمام وأهل بيته المعصومين ولو بالمعرفة الإجمالية العامة، ومن أهمها أنهم حجج الله، وأوصياؤه، وموضع سرّه، وعيبة علمه، ومهبط وحيه، وأنهم أحق بالخلافة والوصاية والإمامة من دون سائر الناس وغير ذلك؛ حيث إن المعرفة التفصيلية غير ممكنة كما دلَّ على ذلك الدليلان العقلي و النقلي.

١ - موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمحمدي الريشهري ج/١٩٥

٢ - ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي ٢٦٨/٢

٣ - غاية المرام وحجة الخصام للسيد هاشم البحراني ٤١/٣

٤ - مجمع البحرين ومطلع النيرين لفخر الدين الطريحي ٢٨٨/١

المبادرة إلى **التوبة** بقتل النفس

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، في آلاء الرحمن: إن المقصود بالكتاب والفرقان هي الألواح، كما في سورة الأعراف ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]، ويحتمل أن يُراد بهما نفس التوراة[3]، ومعنى كلمة الفرقان: هي ما يُفرق بين الحق والباطل، وفي الآية التالية يشير سبحانه إلى عدة أمور:

إن بني إسرائيل ظلموا أنفسهم بسبب عبادتهم للعجل واتخاذه إلها من دون الله تعالى

المبادرة إلى التوبة العاجلة والحقيقية

إسناد التوبة إلى البارئ (الخالق)، بمعنى صدور الأمر بالتوبة عنه، وفيه من التأكيد الشيء الكثير

طريقة التوبة (القتل) أي قتل النفس، وذلك بأن يقتل المذنبون بعضهم بعضا

هذا النوع من التوبة خير لبني إسرائيل، في الأخبار أن النبي موسى أمر المذنبين العاصين وفي ليلة ظلماء بالاغتسال وارتداء الأكفان ثم أمر بعضهم بقتل الآخرين.

والسؤال هنا: إننا نلاحظ أن التوبة غالبا ما تكون بالندم والاستغفار والتصميم بعدم العودة إلى ارتكاب ذلك الذنب، كما هو الملاحظ في سائر الشرائع السماوية الأخرى، بل حتى في نفس شريعة النبي موسى أيضا، ولكن هنا تبدّل الأسلوب من الندم إلى القتل، وهو عقاب قاسٍ فما هو السبب في ذلك؟، من الممكن الإجابة بأن العقوبة يجب أن تتناسب مع الذنب، فإذا كان الذنب كبيرا كان العقاب كذلك، فالكفر والارتداد وعبادة العجل بعد الإيمان بالله ونبوة موسى وما شاهدوه من الآيات والمعجزات لا يناسبه إلا هذا النوع من التوبة وهي القتل والإعدام، ثم إن أهمية التوحيد وهو الأصل الأول لجميع الرسالات السماوية لا يمكن التهاون به، كلّ هذا يدعو إلى ذلك العقاب الأليم ويجب أن يكون عبرة للأجيال القادمة[4]، ولعل ما ذكر واحد من وجوه (وذلكم خير لكم) باعتبار عمق القرآن وأنه يشتمل على بطون كثيرة، وقد نقلت بعض التفاسير طريقة القتل فجاء في تفسير الميزان عن الدر المنثور: عن الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الآية، قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضا- فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه و أباه و ابنه- و الله لا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا- فأوحى الله إلى موسى مُرْهم فليرفعوا أيديهم- و قد غفر لمن قتل و تاب الله على من بقي.

و في تفسير القمي: قال عليه السلام: إن موسى لمّا خرج إلى الميقات- و رجع إلى قومه و قد عبدوا العجل- قال لهم موسى: يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ- فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ- ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ- فقالوا له: كيف نقتل أنفسنا فقال لهم موسى: اغدوا كل واحد منكم إلى بيت المقدس- و معه سكين أو حديدة أو سيف- فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل- فكونوا أنتم ملثّمين لا يعرف أحد صاحبه- فاقتلوا بعضكم بعضا»، فاجتمعوا سبعين ألف رجل- ممن كان عبدوا العجل إلى بيت المقدس- فلما صلّى بهم موسى و صعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضا- حتى نزل جبرائيل فقال: قل لهم: يا موسى، ارفعوا القتل فقد تاب الله عليكم، فقتل منهم عشرة آلاف و أنزل الله: (ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ- فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[5].

١ - سورة البقرة الآيتان ٥٣ و٥٤
٢ - سورة الأعراف/الآية ١٤٥
٣ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن للشيخ محمد جواد البلاغي بتصرف ٩٤/١
٤ - تفسير الأمثل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي بتصرف ٢٢٧/١
٥ - الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي بتصرف ١٩١/١

الصحن الكاظمي الشريف يشهد

حفل تخرج دورة الجوادين عليهما السلام
الصيفية السادسة

شهد الصحن الكاظمي الشريف حفل تخرج دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام، الصيفية السادسة، لحفظ وتلاوة القرآن الكريم، وتعلم الفقه، والعقائد والأخلاق للبنين والبنات، التي أقامتها دار القرآن الكريم التابعة لقسم الشؤون الفكرية والإعلام، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة وأعضاء مجلس الإدارة، وأساتذة الدورة، وذوي الطلبة المتخرجين، ابتدأ الحفل بتلاوة قرآنية مباركة تلاها على مسامع الحاضرين الطالب (منتظر مازن) أحد ثمار هذه الدورة، ثم جاءت بعدها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ألقاها الأمين العام، والتي استهلها مرحبا بالحضور الكريم وشاكراً لكل من ساهم في إنجاح هذه الدورة القرآنية المباركة، وتوفير الأجواء التعليمية المناسبة للطلبة، كما قدم الشكر إلى أولياء الأمور الذين حثوا أبنائهم على المشاركة، كما أكد على ضرورة نشر ثقافة القرآن الكريم، والتمسك به، كونه أول الثقلين المباركين، والاهتمام بالمواهب القرآنية الناشئة، فضلاً عن تعلم أحكام كتاب الله والاهتمام بتعاليمه حفظاً للغتنا العربية الفصحى السليمة التي بدأت تتلاشى يوماً بعد آخر، ثم تلتها كلمة دار القرآن الكريم التي ألقاها المهندس (جلال علي محمد النجار) التي بيَّن فيها أمور عدة قائلاً: دورة الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية السادسة احتضنت أبناءنا وبناتنا خلال العطلة الصيفية استثماراً لأوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، فقد انتظم في هذه الدورات (١٤٠) مشاركاً من كلا الجنسين. وأشار إلى ديمومتها خلال أيام السنة الدراسية يومي الجمعة السبت من كل أسبوع، تعميماً للفائدة ومواصلة لهذا الغرس المبارك. وشهد الحفل فقرات متعددة فقد ترنمت مجموعة من الفتية بأنشودة (أئمتي اثنا عشر)، مع مشاركة شعرية للطالب (محمد هادي)، ومشاركة ثلة من الفتيات بأنشودة (قرآني)، ليختتم الحفل بتوزيع الهدايا والشهادات التقديرية على الأساتذة المشرفين في الدورة والطلبة المشاركين فيها.

أغاريد قرآنية

تعطر أجواء الصحن الكاظمي الشريف

أقامت العتبة الكاظمية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والإعلام، دار القرآن الكريم محفلاً قرآنياً مباركاً، بمناسبة حلول الذكرى العطرة لولادة أنيس النفوس الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بعد صلاتي العشاءين، بحضور عدد من أعضاء مجلس الإدارة ونخبة طيبة من خدام العتبة الرضوية المطهرة، ومجموعة من الأساتذة والمختصين والمهتمين بالشأن القرآني، وجمع غفير من زائري الإمامين الكاظمين عليهما السلام، وقد تخلل المحفل استضافة قارئ ومؤذن العتبة الرضوية المقدسة القارئ الحاج (محمد رضا شفيعي) الذي شنف الأسماع بجمال صوته الشجي، ومشاركة قارئ العتبة الكاظمية المقدسة السيد (عبد الكريم قاسم)، الذي شنفت أسماع الحاضرين بآيات من الذكر الحكيم، أضفت على الحضور قسطاً من السكينة والخشوع وهم يستمعون لآيات الله البينات، التي صدحت بها حناجر القراء، كما ازدان المحفل بوجود راية قبة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المباركة واختتم المحفل بمشاركة الحضور في المراسم العبادية لخدام العتبة الكاظمية المقدسة.

آثار استصغار الذنب في القرآن

ميادة قهرمان

هناك حدود كثيرة وضعها الله عز وجل لعباده ويجب أنْ يسيروا وفقها، وأنْ تخطها دون معرفة عواقبها الوخيمة يعني نيل السخط الإلهي إذ يقول الباري عز وجل : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1].

والكثير لا يعي حقيقة الانجرار خلف بهارج الشيطان اللعين الذي يعمل على هلاك متبعيه بتزيين سبل الغواية، و تصغير أفدح الذنوب وأكبر المعاصي في أعينهم وكأنها لا شيء، والنص القرآني الذي يحذر من مغبة هذا الأمر صريح وهو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، ومن الأدلة القرآنية الأخرى المحذرة لذلك هو قوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]، إذ جاء في تفسير مدلول الآية الكريمة: (الخطيئة هي الحالة الحاصلة للنفس من كسب السيئة، ولذلك أتى بإحاطة الخطيئة بعد ذكر كسب السيئة، وإحاطة الخطيئة توجب أنْ يكون الإنسان المحاط مقطوع الطريق إلى النجاة ،كأنَّ الهداية لإحاطة الخطيئة به لا تجد إليه سبيلاً فهو من أصحاب النار مخلداً فيها، ولو كان في قلبه شيء من الإيمان بالفعل، أو كان معه بعض ما لا يدفع الحق من الأخلاق والملكات، كالإنصاف والخضوع للحق، أو ما يشابههما لكانت الهداية والسعادة ممكنتي النفوذ إليه)[4]، ومن البشر صنفان منهم من يعي لنداء ضميره الحُر وعقله الرصين فلا ينجر ولا ينغمس في الملذات والموبقات التي تنحدر به على وفق سيلها العارم إلى الركون بمنعطف الأهواء، وأما الصنف الأخر هو الذي يهين نفسه بذنبه ويظل مُصرًا على غفلته، فيكون مداناً بجنحه أمام محكمة العدل الإلهي يوم الحساب، وبدلائل وبراهين تجعله من الأخسرين أعمالاً، وقد جاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله :(اتقوا المحقرات من الذنوب فإنَّ لها طالبًا، لا يقولن أحدكم أذنب وأستغفر الله تعالى، إنَّ الله تعالى يقول: إن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ (باستخراجها) خَبِيرٌ، بمستقرها)[5]، وكما أنَّ الإحاطة بألوان الصيانة النفسية ظهرت في أقوال العترة الميامين عليهم السلام التي اتخذت من الثقل الأكبر سبيلاً للاستدلال بأفضل سبل الهداية والبرهان الذي يعزز مكانتهم بين العباد ويجعلهم أئمة للناس فهم أوصياء الأنبياء، وحملة الرسالة المحمدية، ومنهم الإمام الكاظم عليه السلام الذي قال: (إنَّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: إن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس، يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم)[6]، ولا عجب فإنَّ مخالفة أي أمريء للنصوص والمواثيق القرآنية التي تحذر من عواقب تحقير الذنوب هو استهانة صريحة بسبل النجاة في الحياة الدنيا، وبسبل الخلود في الجنان في الدار الآخرة.

١ - سورة الطلاق :الآية ١.
٢ - سورة البقرة: الآية ١٦٨.
٣ - البقرة: الآية ٨١.
٤ - الميزان في تفسير القرآن: العلامة الطباطبائي، ج١، ص١٢٣.
٥ - بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٠، ص٢١.
٦ - ميزان الحكمة: محمدي الريشهري، ج٣، ص٣٥٣.

سورة البينة

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

❖ الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

تبدأ السورة المباركة بتقسيم الكفار إلى صنفين، هم أهل الكتاب ويشمل اليهود والنصارى بالاتفاق، ويشمل غيرهم كالمجوس على اختلاف، والقسم الآخر هم مشركو قريش من عبدة الأصنام والأوثان، ورغم أن موقف الإسلام يختلف إزاء هذين الصنفين، إلا أنه يجمعهم الحكم بأنهم كافرون، ويشتركون بصفة أخرى وهي عدم الاستجابة للأدلة الدالة على صدق نبوة خاتم الأنبياء ﷺ، وإن كانت واضحة وضح النهار، فتبدأ السورة المباركة بهذا النفي ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، ومعنى الانفكاك: هو الانفصال وقطع الاتصال بعد شدته، وهذا يعني شدة الالتزام بما هم عليه من دين، وإن طرأ عليه التحريف والتبديل، وإن كان ضلالاً لا يوافق الفطرة والعقل، وقد يُفهم من الآية أن الصنفين من الكفار كانوا في انتظار مجيء البينة حتى يتركوا ما هم عليه، ومعلوم أن أهل الكتاب يجدون النبي ﷺ وصفته وبعثته وهجرته في كتبهم، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم بل أشد من ذلك، وكانوا ينتظرونه لينصروه، وكان عبدة الأوثان تبعاً لهم في هذا الانتظار، لكن عندما جاءتهم البينة كفروا بها مع وضوحها، وقد يُفسَّر الانفكاك بأن الله سبحانه لا يترك عبيده في ضلالهم يعمهون، بل لا بد أن يقيم الحجة البالغة عليهم ويريهم الأدلة الواضحة المنيرة للعقول والمطابقة للفطرة البشرية، وقد عرَّف القرآن ﴿البينة﴾ بأنه ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فهو ﷺ في ذاته دليل واضح على صحة مدعاه لما كان يتحلى به من كمال العقل ومكارم الأخلاق، وقد عاش بين الناس أربعين سنة لم يُسجل عليه خلالها زلة واحدة، واضافة لذلك جريان المعجزات الكثيرة على يديه، وأعظمها القرآن الكريم الذي عبرت عنه السورة ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ والمراد من مطهّرية هذه الصحف تنزيهها من قذارة الباطل في كل ما تحتوي من عقائد وأحكام وأخلاق، ومع ذلك تتضمن ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ فهي مستقيمة لا عوج فيها ناطقة بالحق، ومع كل هذا الوضوح فإن الكافرين من الطرفين انقسموا إلى من آمن بهذه الدلائل الواضحة، ومن عاند وكابر وجحد كل تلك الآيات ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، وإفراد أهل الكتاب بالحديث لأن الحجة عليه أتم – باعتبار ما يجدونه في كتبهم- وهم باللوم أولى من المشركين، والمهم أن التفرق والاختلاف وعدم وحدة الموقف لم ينبع من عدم المعرفة والوضوح، بل كان رغم الكشف التام عن الحق والعلم به، والمفروض بأنهم لم يؤمروا بشيء جديد لا يناسب ما هم عليه من دين منزل من الله، فقد أمرتهم كتبهم بإخلاص العبادة لله سبحانه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾، والرسول الخاتم ﷺ أمرهم بنفس الأمر فما هو داعي الرفض والتكذيب؟ ومن أهم ما يترتب على إخلاص العبادة لله، فريضة الصلاة وهي صلة بين العبد وربه،وفرضية الزكاة وهي صلة بين الإنسان وربه من جهة وصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى،﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، تم تذكر السورة استحقاق الكافرين للخلود في النار أولاً، واعتبارهم شر الخلق ثانياً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، ومقابل هؤلاء وفي الطرف المقابل يقف المؤمنون العاملون للصالحات ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مع عنصر ثالث ذُكر في آخر السورة المباركة وهي الخوف من الله مع التعظيم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، أما استحقاق هذا الفريق فأنهم خير الخلائق أولاً وجنات النعيم الخالد ثانياً والرضا المتبادل بينهم وبين ربهم ثالثاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وقد بيَّن المفسر الأول للقرآن الكريم الرسول الأكرم ﷺ المصداق الخارجي المصداق الخارجي لخير البرية هم (علي عليه السلام وشيعته)[1]، وفي ذلك بشارة لمن كان من شيعة علي عليه السلام، ولا يكون من شيعته إلا بشرط توفر شروط خير البرية، وهي الإيمان والعمل الصالح والخشية.

١ - ينظر الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، ج٦، ص ٣٧٩.

صبغة الله

المهندس جلال علي محمد
دار القـــرآن الكريـــم

يُحكى أنَّ أحدهم يملك صوتاً جميلاً يبحث عن عمل فأضناه البحث من دون نتيجة، وبالرغم من أنه لم يكن ملتزماً بصلاته وصيامه وليس له علاقة بتعاليم الله، قرر أن يتعلم تلاوة القرآن ليتلو آياته هنا وهناك ويعتاش منها، لِمَ لا؟ فهو لا يملك رأسَ مال لعمل مشروع ما، وليس عنده وسيلة أخرى، أخذ الناس في البلدة يحبون الاستماع إليه، وأحياناً يبكون خِشية من الله لتجسيده معاني الكلمات بحنجرته وعذوبة صوته كلما مر بآيات فيها وعيد، وتهديد، واعتاد دخول المساجد ليرفع أذان الفجر وسائر الصلوات،

مرت أيام وشهور على حالته هذه، وفي خلوة مع نفسه وفي لحظة لطف إلهية قال محدثا نفسه: أنا أوقظ الناس من نومهم فجراً، وأدعوهم لتلبية نداء الله لإقامة الصلاة، أليس من الأجدر أن أستيقظ أنا من غفلتي؟!!

أنا الذي أُبكي الناسَ بصوتي الذي وهبني إياه الله سبحانه وتعالى كلما قرأت آيات فيها تخويف ووعيد، أليس من الأجدر أن أبكي أنا قبلهم لتقصيري وإسرافي على نفسي؟!!

أنا الذي جعلت من القرآن الكريم رفيقاً لي في حِلي وترحالي فصار سبباً من أسباب رزقي بعد أن وفقني الله تعالى إلى ذلك، فأصبحت وأمسيت لا أتعامل إلا بكتاب الله، فهو رأس مالي منذ شهور، كيف لا أتأثر به كما يتأثر الآخرون، فلو أنني أعمل في محل أصباغ لاصطبغت يداي بالألوان، فهذه ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ ، أليس من الأجدر أن أعود إلى فطرتي وألتزم بما أقرأه على الناس؟!!

كيف أقول للناس: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)؟ كيف أقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)؟ كيف أقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) كيف وكيف وكيف؟؟؟ بينما أستثني نفسي من كل ذلك وكأنني لستُ منهم، فعلا أنا لستُ منهم ما دمت بعيدا عن الله ولا أعمل بكتابه.

تاب إلى الله توبة نصوحاً، بعد أن صاحب القرآن فتعلم منه الكثير الكثير، وأصبح من المؤمنين الذين يلتزمون بأوامر الله ونواهيه.. حقاً: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ).

الإنفَاق والإعصَار

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أكد القرآن الكريم في كثير من آياته على الإنفاق في سبيل الله؛ لما فيه من التقرب إلى الله سبحانه من جهة، وما فيه من صلة الإنسان بأخيه الإنسان من جهة أخرى، ففيه لون من التكافل الاجتماعي، وتذويب للطبقية الحادة (الأغنياء والفقراء)، وما في ذلك من تقريب بينهما وحفظ لكرامة الإنسان وتأمين حاجاته الضرورية، وإن كان لا يملك شيئاً، والعنصر المهم في المسألة أن ذلك يقع لوجه الله سبحانه أولاً، ولا يتبع ذلك منّاً ولا أذى أو يصحبه الرياء ثانياً، وفي هذا المثل القرآني معالجة لمن ينفق لكن يضم إلى ذلك المنّ، أو يعمل صالحاً ويفعل ما يحبط ذلك العمل الصالح، وتبدأ الآية الكريمة بالاستفهام الاستنكاري ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ والود هو المحبة المخلوطة بالتمني، والإجابة على هذا الاستفهام بعد معرفته كله أنه لا يود أحد ذلك أبداً، وبقية الصورة كما يذكرها القرآن ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ ومعنى الجنة في الآية هو الشجر الكثيف الكثير الملتف وسمي ﴿جَنَّة﴾ لأنها تجن الأرض أي تسترها وتقيها ضوء الشمس لاشتباكها، وهذا الستر في اللغة يسمى جنّا، ثم يذكر ثلاثة أوصاف لتلك الجنة.

١- ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ فمعظم هذا البستان من هذين الصنفين وهما أنفع الفواكه وأجملها منظراً.

٢- ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وجريان الأنهار من تحت الأشجار فيه سرور للنفس وبهجة للقلب.

٣- ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وهذا يدل على تنوع الأشجار والثمار وعدم الاقتصار على النخل والعنب، مما يزيد البستان جمالاً، ويزيد صاحبه غنى عن غيره.

وهذا البستان بهذه الصورة الجميلة مثل الإنفاق في سبيل الله، وما يأتي لإكمال المثل مثل لاتباع الإنفاق بما يمحقه، وبقية الصورة أن صاحب البستان طاعن في السن ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾، فالبستان بالنسبة إليه هو نتيجة أتعاب عمره الماضي وليس لديه فسحة من العمر لتعويض الخسارة إن حدثت، ويزيد المشهد صعوبة أن أبناء هذا الشيخ الكبير أولاد صغار لا يستطيعون تعويض الفائت ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾، وكان البستان يكفي لحاجة هذا الشيخ وأولاده الصغار، لكن عندما تضربه الزوبعة لا يمكن تعويضه منها ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ويتصور معنى الإعصار على أنحاء:

١- الرياح القوية التي تأخذ النار في طريقها لنقلها من مكان إلى آخر.

٢- العواصف ومعها صواعق تسبب الإحراق.

٣- البرد القارص و هو الذي يتلف الأشياء بتجفيف رطوبتها.

وعلى كل حال، فإن هذا الإعصار سبب تام للإبادة السريعة للبستان، وعدم إمكان تعويضه من مالكه ولا من أبنائه، فالمن والأذى الذي يتبع الأنفاق أو الرياء الذي يصاحبه، مثله مثل هذا الإعصار الذي يدمر ما كان حسناً جميلاً، في حين لا مجال لتداركه، والتبيين في خاتمة الآية المباركة هو دعوة للتفكر ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

يُنظر

١. الأمثل: في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٣٠٨

٢. الميزان: في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج٢، ص٣٩٣

الهدف من الحياة في القـ

الدكتور جيفري لانغ

ترجمة - رياض عبد الغني الحسن

أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية

أود التحدث في ما يقوله القرآن الكريم عن الهدف من الحياة، أعتقد أن هذا الموضوع مهم للغاية، خاصة بالنسبة للمسلمين القاطنين في أمريكا، باعتبارنا أقلية هنا والدين جديد هنا، وهناك الكثير ممن يهتم بعقيدتنا، وأعتقد أن السؤال الأول الذي يبحث له الناس عن إجابة عند بحثهم في دين آخر هو رؤية هذا الدين للهدف من الحياة والغرض من وجودنا، وسنتحدث عن نظرة الملحد إلى الأمر، وسؤاله ماذا يقول القرآن في الهدف من الحياة، وقبل أن أبدأ في هذا البحث، أود أن أتحدث لخمس أو عشر دقائق عن الأمور التي دفعتني إلى الإلحاد بعد أن كنت قد نشأت أصلاً في بيت مسيحي، ثم سأتحدث لخمس وأربعين دقيقة أو أكثر عن تجربتي مع القرآن وما الذي غيَّر من رؤيتي، كنت أحلم في صغري بحياة بلا عنف، وكنت أشعر أنه كان كابوس لا خلاص منه، لذلك دعوت الله مرات ومرات كثيرة لكي يخرج أبي من حياتنا لأنه كان عنيفا مع والدتي بشكل لايوصف وذلك بسبب تعاطيه الخمر، لكنه بقي موجوداً وهنا بدأت أسأل نفسي، هل أن الله موجود حقاً؟ لم أستطع أن أفهم لماذا تتعرض والدتي لمثل تلك العقوبة طيلة حياتها؟ دون أي ذنب اقترفته أو اقترفناه نحن الأطفال ليتسلط علينا أبي، ولماذا يترك الله الأطفال يرتجفون ليلة بعد ليلة خوفاً من أن لا يروا أمهاتهم على قيد الحياة ؟ لم أكن آنذاك بالنضوج الذي يجعلني أفهم الجواب، لكن لشعوري بالغضب ما جعلني أطرح مثل تلك الأسئلة، فقد كنت صغيراً على فهم الحكمة من وراء ذلك، فلم أتصور أن الرحمة تشمل وتطال حتى أبي الذي ما رأينا منه إلا الخوف والعنف والفوضى، لذا أصبح من السهل عليَّ أن أتساءل عن حقيقة وجود الله، وبدأت بهذا التفكير في سن مبكرة، كما أن الأحداث التي جرت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي عززت من شكوكي تلك، عندما اندلعت أعمال الشغب العنصرية وحروب العصابات في المدينة وما جرى في فيتنام، كل تلك الأحداث عززت الشك عندي بعد أنْ رأيت أنَّ العالم يهيمن عليه العنف العشوائي الشديد بلا تمييز، وسرعان ما بدأت أسأل لماذا؟ لماذا يجعل الله الأمور تسير بذلك الاتجاه؟ لماذا لا يتدخل في هذه الأمور ويخفف المعاناة؟ لماذا يترك الأطفال ضحية قنابل النابالم ويحرقون عراة بلا ذنب؟ ولماذا يسمح بأعمال العنف العنصرية تندلع؟ ولماذا يسمح بالعنف يستمر ويستمر على أناس ليسوا طرفاً في الأمر؟ لماذا لم يخلقنا ملائكة كما خلق ملائكة في السماء؟ لماذا جعلنا عرضة لارتكاب الذنوب؟ لماذا لم يخلق لدينا مناعة من الذنوب كما خلقها في الملائكة؟هل هذا هو أفضل ما يمكنه أن يخلق في وجودنا؟ لم أقع على فهم لهذه المسألة، وجميع الأجوبة التي تلقيتها من القساوسة والأساتذة وغيرهم لم تكن مقنعة بالنسبة لي، وبناء على ذلك فقد أصبحت (ملحداً) في (السادسة عشرة) من عمري على الرغم من أنني كنت طالباً في مدرسة كاثوليكية حينها فصرحت بإلحادي أمام القس عندما احتد النقاش بيني وبينه عندما كنا نتحدث عن الله وعن الهدف من الحياة، وبقيت على هـذا الحـال حتى (الثامنة والعشرين) من عمـري، وفي يوم أهداني أحد أصدقائي نسخة من القرآن الكريم، فأخذته ثم وضعته على احد الأرفف في المكتبة التي كانت خالية من أي كتاب؛ لأن جميع كتبي لم تصل بعد الى مكاني الجديد، وفي ليلة من الليالي عندما كنت جالساً في شقتي وحينها كنت أعمل في جامعة سان فرانسيسكو لم يكن لدي شيء أقرأه، فأخذت ذلك الكتاب الهدية من صديقي لأقرأه، وبدأت أقرأ فيه، قرأت السورة الأولى ثم عرجت على السورة الثانية وأكملت قراءة (٣٧) آية ووصلت إلى قصة خلق البشر، قرأت حوالي عشر آيات على عجل ورأيت بعض التفاصيل التي كنت أعرفها سابقاً عندما كنت طفلاً، عن الرجل الأول والمرأة الأولى فأحسست بوجود خطأ ما، اتضح لي أن من كتب هذا الكتاب، أيا كان، لأني لم أكن مسلماً حينها، لم يعرف المعنى الحقيقي للقصة وأن تفاصيل القصة عنده مشوشة ولم يفهم المغزى الحقيقي من القصة، فقرأتها مرة ومرتين لأرى ماذا يريد الكاتب أن يقول ثم قرأتها للمرة الثالثة والرابعة فأحسست أن أمراً غريباً يدور هنا في القصة وأن عليَّ أن أقرأ بمزيد من العناية وأن أتمعن بها سطراً سطراً وآيةً آيةً، فمن الواضح أن الكاتب كان يرمي إلى شيء آخر، ولم أكن متأكداً ما هو ذلك الشيء، لكنه بلا شك كان قد جمع كثيراً من المعاني في كل كلمة مكتوبة، وظهر لي أن الكاتب كان يتمتع بقدر عظيم من الذكاء،وهكذا وصلت إلى الآية الثلاثين من السورة الثانية (سورة البقرة)، وبدأت أقرأ هكذا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ استوقفتني هذه الآية وجذبت انتباهي وجعلتني أقرأ القصة مرات ومرات، لأنظر كيف تبدأ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قلت في نفسي: ليس هذا هو مقتضى الأمور، ليس من المفترض بك أن تجعل هناك إنساناً على الأرض ليؤدي دوراً ما إيجابياً وتختار له مكتباً له فيها، إنما قد وضعت الإنسان على الأرض عقوبة له على معصية ارتكبها، وقلت: من المؤكد أن الكاتب لم يفهم محور القصة، كلمات أثارت دهشتي ثم انتقلت الى السطر التالي: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، تمعنت في الكلمات ولم أكن مصدقاً لورود هذا السؤال!، تأملت السؤال وقلت في نفسي: صحيح! ذلك هو سؤالي، لماذا تخلق هذا الكائن على افتراض خلقه لهدف إيجابي وهو قادر على أن يرتكب ظلماً عظيماً بنشره الفساد وسفكه الدماء؟ لماذا تخلق هذا المخلوق المؤذي المحب للعنف، في الوقت الذي بإمكانك أن تخلق فيها ملائكة، كما قالت الملائكة بأنهم (يسبحون بحمده ويقدسون له)؟ إنهم يطرحون سؤالا من الأساسيات الأكثر طرحاً في تاريخ الأديان كلها، لماذا تخلق الإنسان المتعرض للمعاصي الذي يتمرد على إرادة الله ويرتكب أبشع أنواع الظلم ونشر الفوضى مما لا

ـرآن الكريم

لقد كنت أعمى وأرى وجهاً واحداً من الطبيعة البشرية، فكان القرآن الكريم هو السبب الرئيس في هدايتي إلى الإسلام

يرتكبه أي مخلوق آخر على الأرض، في حين أنك قادر على أن تخلق ملائكة؟ يبدو وكأن السؤال هذا قد سئل في السماء؟ وكأنهم يريدون أن يقولوا لماذا لا تخلقهم ملائكة في السماء يكونون معنا؟ تأملت السؤال وقلت إن هذا السؤال هو سؤالي الذي أطرحه، ولأول مرة في قصة الخليقة أجد سؤالي مطروحاً، فيها، وكل ما فكرت فيه وكل ما مررت به من تجربة، في ذلك السؤال، ثم نظرت إلى الجواب: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، أي بتعبيرنا المعاصر، أنا مدرك تماماً لما أفعل، ماذا؟ أنت تعلم ما لا يعلمون؟ أخبرني رجاءً، أريد أن أفهم، أنا عمري (٢٨)عام ولم أفهم ذلك بعد، ولديَّ كثير من المشاكل وهي مرتبطة بهذا السؤال، لا تترك المسألة غامضة هكذا بهذه البساطة وتتركني! ثم انتبهت لنفسي ووجدتني أخاطب ربّاً أنا لا أؤمن به أصلاً؟ وهذا ما حدث لي مراراً،وأنا أقرأ القرآن، فأشعر بعض الأحيان بالانفعال لما أقرأه فأقوم بخطاب هذا الصوت الذي يناديني،ثم انتقلت إلى الآية التي بعدها، ويبدو أنها لا تحاول ترك الإجابة على السؤال ولكنها تحاول الإجابة ولو قليلاً، والآية التالية تقول: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فمن الواضح أن هذه الآية تشير إلى التي قبلها، ولكن لاحظ ما تقوله، أنا أتذكر أنه قام بتسمية أشياء ولكن لم أجد لذلك ربطاً بأي مسائل فلسفية، لكن لاحظ هنا ما يقوله: "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" وقد أدركت بعد قراءة الآية الأولى أن عليَّ أن أقرأ الآيات بعناية شديدة لأنها تنطوي على معاني رمزية كثيرة مكتنزة، نلاحظ من هذه الآية أن آدم ليس مخلوقاً بإمكانه تسمية الأشياء فحسب لأنه قد وهب القدرة على اكتساب اللغة، بل إنه مخلوق قادر على التعلم، والله هو الذي يعلمه، من هذه الآية والآيات اللاحقة نلحظ بكل وضوح تأكيداً لنعمة العقل التي وهبها الله للإنسان، فهو مخلوق قادر على التعلم، فقد تم تعليمه، ما الذي تعلَّم؟ لقد وهب جواباً على سؤال الملائكة، أعظم الهبات العقلية وهي اللغة، بإمكان الإنسان تعلم ما جمعه من خبرته ومن خلال اللغة بإمكانه التعلم من خبرات الآخرين ممن عاشوا في أماكن وأزمنة بعيدة عن مكانه وزمانه، وبهذا تصبح المعرفة تراكمية، كل جيل يتعلم من الجيل الذي سبقه، فأنا اليوم أتعلم من مؤلفين عاشوا في أماكن أخرى من العالم وربما عاشوا قبل ألفي سنة، وبهذا فنحن جميعاً نسهم بمعارفنا التراكمية، ثم لاحظت فيما بعد أن القرآن يؤكد على هذه المسألة مراراً وتكراراً، فأحد الآيات تقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ لماذا كان الله (الأكرم)؟ ما هي الهبة العظمى التي منحك إياها فأصبح هو الأكرم؟ ذلك لأنه ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ والذي من خلاله علم الإنسان؛ وبغير القلم ما كان ليعلم، ويؤكد القرآن مرات ومرات على استخدام الإنسان لقدراته الذهنية، بل ويُقسم بقدراته الذهنية، ويؤكد على استخدام تلك القدرات بالشكل الصحيح؛ لأن لها دوراً أساسياً في هدايته إلى الحق، ثم عرّجت على آية أخرى تؤكد تأكيداً شديداً على استخدام العقل بشكل صحيح وتكرس المنطق في الوصول إلى الإيمان، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ حسناً، أنتم يا ملائكة لديكم هذا التساؤل الطبيعي عن جدوى خلق هذا الكائن المسمى إنساناً، هذا الكائن هو مخلوق قادر على التعلم، ولديه العديد من المواهب العقلية وأنا أضع هذه الأشياء أمامكم فأخبروني بأسمائها إذا كنتم على حق بشأن هذا الإنسان، فماذا قالت الملائكة؟ في الآية التي تلي؟ قالت الملائكة ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يظهر أن هذا الاختبار العقلي الذي أخضعوا له لا تتسع له أفهامهم، لاحظ ما أكدوه ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ لإن ذلك يستلزم علماً، يستلزم عقلاً هم لا يمتلكونه ثم ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فأنت الحكيم العليم الذي تعرف، وهو أمر سهل بالنسبة لك، لكن هذا الامر بالنسبة لنا خارج عن قدراتنا، وفي الآية التي تلت: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ لاحظ كيف أن الأمر سهل يسير بالنسبة لآدم، وكأنه أجاب على البديهة، يشير الله تعالى إلى تساؤل الملائكة ويقول لهم: نعم إن لكم قلقاً طبيعياً من هذا المخلوق (الإنسان) من أنه قد يرتكب ما هو شرير، ولكن انظر الى ما يتمتع به من قدرات عقلية جبارة، وهو أمر قد أغفلتم عنه ولم تفكروا فيه، وهذا هو بشكل واضح بيت القصيد في هذه الآيات، كنت أعتقد في بادئ الأمر أن الكاتب لم يفهم القصة بشكل صحيح، كنت أعتقد أنه يتناول أعظم قصة في التاريخ وهي قصة الخليقة ثم يجعلها وسيلة لنقل رسالته الأصلية، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ بعبارة أخرى، ألم أقل لكم أني مدرك لما أفعل، وهنا السؤال: ما الذي كانوا يبدونه؟ وماذا كانوا يكتمون؟ فكرت في هذا الأمر قليلاً ثم قلت في نفسي: نعم، الأمر واضح، فقد أبدوا الجانب الشرير في الإنسان، لكن ماذا كتموا؟ لنفكر بذلك قليلاً، يمكن للبشر أن يرتكبوا الشر، نعم ويمكن أن يخطئوا، ويمكن أن يصنعوا المآسي، لكن بإمكانهم أيضاً أن يفعلوا العكس، وبإمكانهم أن يختاروا فعل الخير أو الشر، بإمكانهم إثارة العنف وبإمكانهم إظهار العاطفة، وبإمكانهم أن يحيوا حياة ضلال أو حياة هدى، بإمكانهم أن يظهروا الوجه القبيح او الوجه الجميل، وإلى هذا الحد، أعجبت بالملائكة الذين رأوا وجهاً واحداً من العملة، ولأول مرة في حياتي عندما قرأت هذه الآية، تختلف عندي الصورة الشريرة؛ لأنها كانت دوماً تهيمن عليَّ فكرة القدرات الشريرة في البشر، عندما قرأت ذلك أدركت ذلك، ولديَّ في حياتي مثل عظيم على ذلك وهو والدتي، لقد كنت أعمى وأرى وجهاً واحداً من الطبيعة البشرية، فكان القرآن الكريم هو السبب الرئيس في هدايتي إلى الإسلام.

المصدر https://www.youtube.com/watch?v=ifllgTA2pmY

إعراب سورة الأعلى

مكيَّة وآياتها تسع عشرة

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى
قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً
أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ
ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ
ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝
ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝
قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)﴾

الإعراب:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، سبّح فعل أمر أي نزّه وقد تقدم، وفاعله مستتر تقديره أنت، واسم ربك مفعوله، والأعلى صفة لربك، وأجاز ابن هشام أن يكون صفة لاسم ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، الذي صفة ثانية للرب، وجملة خلق صلة ومفعول خلق محذوف أي كل شيء، والفاء عاطفة، وسوّى عطف على خلق ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ عطف أيضا منسوق على ما تقدم،﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ عطف على ما قبله أيضاً، وجملة أخرج صلة الذي، والمرعى مفعول به، فجعله عطف على أخرج والهاء مفعول به أول، وغثاء مفعول به ثان، وأحوى صفة لغثاء، لكن يشكل أن الغثاء هو اليابس، والحوة خضرة دائمة فيتناقضان فالأولى أن يعرب أحوى حالاً من المرعى،أي أخرجه أحوى أسود من شدّة الخضرة فجعله غثاء بعد حوّته، وقال الزمخشري: «ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى أي أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة والريّ، فجعله غثاء بعد حوّته» . وقال أبو البقاء: « قوله تعالى أحوى قيل هو نعت لغثاء، وقيل هو حال من المرعى»، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾، السين حرف استقبال، ونقرئك فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به، والفاء حرف عطف، ولا نافية، وتنسى فعل مضارع مرفوع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ إلاّ أداة حصر، وما مفعول تنسى، والاستثناء مفرّغ من أعمّ المفاعيل، وجملة شاء الله صلة ما، وجملة إن وما في حيّزها تعليل لما قبله، وإن واسمها وجملة يعلم خبرها، والجهر مفعول به، والواو حرف عطف، وما موصولة منسوقة على الجهر، وجملة يخفي صلة، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، الواو حرف عطف، ونيسرك عطف على سنقرئك، وهو فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به، ولليسرى متعلقان بنيسرك، وإن شرطية، ونفعت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والذكرى فاعل ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ السين حرف استقبال، ويذكّر فعل مضارع مرفوع، ومن موصول فاعل، وجملة يخشى صلة لا محل لها ويتجنبها منسوق على سيذكّر، والهاء مفعول به، والضمير يعود على الذكرى، والأشقى فاعل، والذي نعت للأشقى، وجملة يصلّى لا محل لها لأنها صلة الذي، وفاعل يصلّى مستتر يعود على الأشقى، والنار مفعول به، والكبرى نعت للنار، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولا نافية، ويموت فعل مضارع مرفوع، وفيها متعلقان بيموت، ولا يحيا عطف على لا يموت، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ قد حرف تحقيق، وأفلح فعل ماض، ومن فاعل، وجملة تزكى أي تطهر لا محل لها لأنها صلة من، وذكر عطف على تزكى، واسم ربه مفعول به، فصلّى عطف على ذكر، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ تؤثرون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والحياة مفعول به، والدنيا نعت للحياة، والواو حالية، والآخرة مبتدأ، وخير خبر، وأبقى عطف على خير ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وهذا اسمها، والإشارة إلى أفلح من تزكى وما تلاه من كلام، واللام المزحلقة وفي الصحف خبر إن، والأولى نعت للصحف، وصحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف.

المصدر:

إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج١٠،ص: ٤٤٩-٤٥٣

العلامة شرف الدين الاسترابادي

صاحب تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة

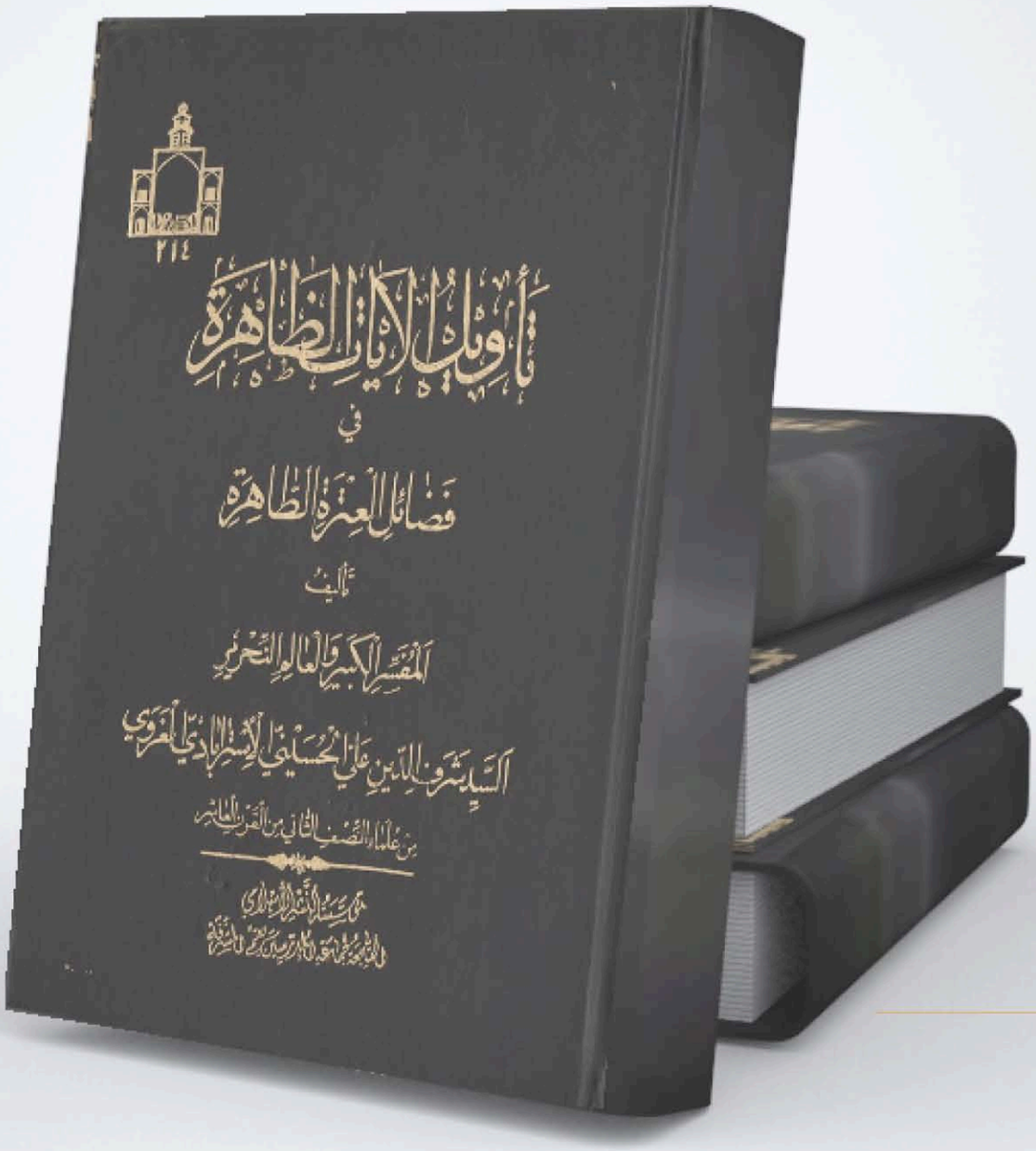

❖ حيدر صباح عبد الرزاق

جوهرة صقلت بحب أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، فكان للحب نتاجه العظيم، وشرف الانتساب الكريم، ليفرغ ذلك الشرف عن ثمرة خلدت آثار ذلك البيت الذي كان جبرائيل عليه السلام يمرّغ ناصيته على أعتابه، فكتب سفره الخالد، وجهد في جمعه وإخراجه للمتعلمين والطالبين لمنهل محمد وآل محمد في كتابه (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) إنه السيد الفاضل العلامة الزكي شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي، توطّن النجف الأشرف كما يذكر العلامة المجلسي[1]، ترجم له السيد الخوئي في موسوعته معجم رجال الحديث وقد ذكر أن الحر العاملي وصفه: (كان فاضلاً محدثاً صالحاً، له كتاب الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة).[2]

وهو تلميذ المحقق فقيه عصره نور الدين علي بن عبد العالي الكركي وشرح رسالته (الجعفرية) في فقه الصلاة وسمّاها (الفوائد الغروية)، لم تذكر كتب الرجال سنة ولادته أو سنة وفاته ولا عن حياته أو أساتذته غير الذي ذكر، إلا أنه كان حياً في سنة ٩٤٠هـ، تميز هذا السيد الجليل بكتابه (تأويل الآيات الظاهرة)، يقول المؤلف في مقدمة كتابه: (فإني لما رأيت بعض آيات الكتاب العزيز وتأويلها يتضمن مدح أهل البيت عليهم السلام ومدح أوليائهم وذم أعدائهم في كثير من كتب التفاسير والأحاديث وهي متفرقة فيها، صعبة التناول لطالبيها، أحببت أن أجمعها بعد تفريقها، وأؤلفها بعد تمزيقها، في كتاب مفرد، لتكون أسهل للطالب، وأقرب للراغب، وأحلى في الخاطر، وأجلى لناظر الناظر، وأبين للتحقيق، وأهدى إلى سواء الطريق، وأخذت هذا التأويل وجلّه من الراسخين في العلم أولي التأويل، مما ورد من طريق العامة)[3]

وقد وجدت نسخة منه بصيغة (pdf) وهو من جزئين في ٩٤٣ صفحة، الجزء الأول من فاتحة الكتاب إلى سورة لقمان، والجزء الثاني من سورة السجدة إلى آخر القرآن، حيث قامت بنشره وتحقيقه مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه في حوزة قم المقدسة العلمية، وكانت الطبعة الأولى في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٧هـ، بعدد ألف نسخة.

وقد جاء في الذريعة أن الشيخ علم بن سيف بن منصور النجفي الحلي انتخب (تأويل الآيات الظاهرة)، وقال في ديباجته: (وبعد فاني تصفحت كتاب (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) فرأيته قد احتوى على بعض تعظيم عترة النبي صلى الله عليه وآله أهل التفضيل في كتاب الله العزيز الجليل، فأحببت أن أنتخب منه كتاباً قليل الحجم، كثير الغنم، وسميته بـ(جامع الفوائد ودافع المعاند) وجعلت ذلك خالصاً لوجه الله تعالى[4]

ويذكر السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة»أن صاحب كتاب «أمل الآمل» الحر العاملي يقول: (وقد رأيت هذا الكتاب في خزانة الكتب الموقوفة في مشهد الرضا عليه السلام)[5]

وللأسف الشديد لم يحظ بسيرته إلا النزر القليل، ولكن الذي تركه علماً كبيراً ما زال يتداول بين أيدي أتباع آل محمد عليهم السلام، رحم الله هذا العالم العظيم وحفه في جنته بالرحمة والتكريم لما قدمه للعلم والدين من عمل خالص لوجهه تعالى، كعلم ينتفع به في الدنيا والآخرة وحشره يوم يحشره في زمرة آل محمد عليهم السلام في عليين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

١. بحار الأنوار، ج١، ص١٣
٢. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج ١٠، ص١٨، رقم الترجمة (٥٧٠٤)
٣. الآيات الظاهرة، ج١ ص٢١
٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، ج٥، ص٦٦
٥. أمل الأمل، للحر العاملي، ج٧، ص٣٣٦

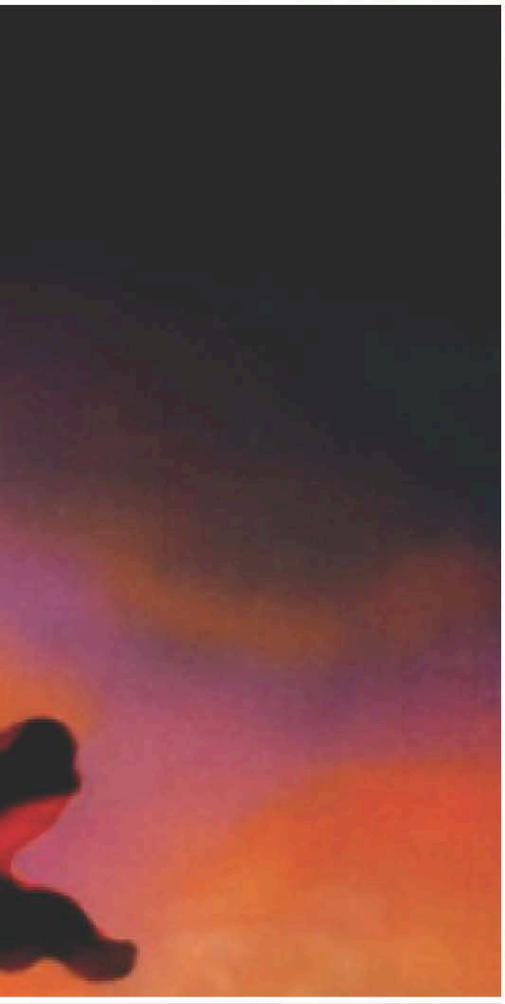

قضاء نبي الله داود عليه السلام

الشيخ طه العبيدي

قضاء نبي الله داود عليه السلام.

ورد في الأخبار أن نبي الله داود عليه السلام، كان يدعو الله تعالى ان يلهمه القضاء بين الناس بما هو عنده تعالى الحق، فأوحى إليه يا داود: إن الناس لا يحتملون ذلك، وإني سأفعل، وارتفع إليه رجلان، فاستعداه أحدهما على الآخر، فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه، ففعل فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك وقالت: رجل جاء يتظلم من رجل فأمر الظالم أن يضرب عنقه ؟ . فقال: رب أنقذني من هذه الورطة . قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بما هو عندي الحق وأن هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه، فأمرت فضربت عنقه قوداً بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا، فأته فناده باسمه، فإنه سيجيبك، فسله . قال: فخرج داود عليه السلام، وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله، فقال لبني إسرائيل: قد فرج الله . فمشى ومشوا معه فانتهى إلى الشجرة فنادى: يا فلان، فقال: لبيك يا نبي الله . قال: من قتلك؟ قال: فلان . فقالت بنو إسرائيل: لسمعناه يقول يا نبي الله، فنحن نقول كما قال . فأوحى الله تعالى إليه يا داود: إن العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم، فسل المدعي البينة وأضف المدعى عليه إلى اسمي[1].

ويظهر من الرواية الأمور الآتية:

إن نبي الله داود عليه السلام، حكم في القضية بما ألهمه الله تعالى.

إن بني إسرائيل لم يقبلوا حكم نبي الله داود عليه السلام، وهو الحق؛ لأنهم لم يألفوا مثل هذا الحكم، واعتادوا على حكم القضاة الذين يحكمون بين الناس بما يطلبونه من بينة أو بالإقرارات.

إن الله تعالى يؤيد أنبياءه، وينصرهم، وانَّ نبي الله داود عليه السلام، أناب الى الله تعالى.

من العبرة، إن المؤمنين يجب أن يرجعوا إلى الله تعالى ويتوكلوا عليه في جميع أمورهم، وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: إن داود النبي عليه السلام مر بغلمة يلعبون وينادون بعضهم مات الدين، فدعا منهم غلاماً، فقال: يا غلام ما اسمك فقال اسمي مات الدين سمتني به أمي، فانطلق إلى أمه، فقال لها: من سماه بهذا الاسم. قالت: أبوه، قال: وكيف ذلك، قالت: إن أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي وقالوا: مات، قلت: أين ماله، قالوا: لم يخلف مالاً، فقلت: أوصاكم بوصية، قالوا: نعم زعم أنك حبلى فما ولدت سميه مات الدين فسميته، فقال: أتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك، قالت: نعم وهم أحياء، قال: فانطلقي بنا إليهم ثم مضى معها، فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم فثبت عليهم

١- ينظر مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨ص٥٤١.

المال والدم، ثم قال: للمرأة سمي ابنك عاش الدين[٢].

ويظهر من الرواية أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بيَّن الأمور الآتية:

إن حكم داود النبي عليه السلام، هو حكم الله تعالى وهو الحق.

إن أم الغلام قد يئست من استحصال الحق بعد طلبه من القضاة، وانَّ نبي الله داود عليه السلام هو حجة الله تعالى على خلقه، وهو رأس الشريعة، وأنه يمثل دين الله في الأرض، وأنه عليه الحفاظ على شرعة الله تعالى وصيانتها.

أعاد نبي الله داود عليه السلام، ثقة المرأة بشريعة الله تعالى والتي أعادة من خلالها الحق إلى أهله، وقد تبدل اسمه إلى عاش الدين.

وفي قضية الخصمين اللذين اختصما إلى نبي الله داود عليه السلام، فانه كان يتفرغ لعبادة الله تعالى في محرابه ليلاً، إذ دخل عليه خصمان دون استئذان، ولا إعلام، وقد فزع عليه السلام، عند رؤيته إياهم حيث إنهم دخلوا عليه من طريق غير مألوف، إلا أنهم بادروه بالكلام فقالوا: خصمان بغى بعضنا على بعض، وطالبين أن تحكم بيننا بالحق. قال أحدهما: إن هذا أخي يملك تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، ويريد أن يأخذها مني ليضيفها إلى نعاجه، وحينها تسرع نبي الله داود عليه السلام، بإصدار حكمه في القضية، ورفض أن يضم نعجة المستدعي إلى نعاج أخيه، ولم يستمع إلى قول الآخر. وقد اقتنعا بحكمه وخرجا من عنده راضين بحكمه، إلا أن داود عليه السلام، تندم في إصدار حكمه في القضية وأنه كان لا بد له أن يستمع إلى أقوال الآخر، ثم أنه عليه السلام ظن أنَّ الله فتنه، لذا رجع إليه طالبا العفو والمغفرة، فخر راكعاً وأناب[٣].

ويظهر من الرواية الآتي:

١. إنَّ المختصمين ملكان، إذ دخلوا عليه على غير المألوف، رغم أنَّ لنبي الله داود عليه السلام، الحرس والجنود، ولن يسمحوا لأحد أن يدخل عليه دون استئذان.

٢. ينبغي لنا الاعتبار وعدم الاسراع في اصدار الأحكام في أي قضية يُتنازع عليها، فضلاً عن الاستماع إلى أطراف النزاع.

٣. ظن داود عليه السلام أن الله امتحنه في هذه القضية، وانه عليه السلام طلب التوبة والمغفرة.

٤. قد يفهم بعض الناس أن داود النبي عليه السلام، اخطأ وارتكب المعصية ولذا طلب المغفرة، إلا أنه عليه السلام لم يخطئ ولم يرتكب المعصية، وأنه معصوم ومنزه عن الخطأ، وهذا اعتقادنا في جميع الانبياء والمرسلين عليهم السلام.

٢ - النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، ص٣٤٠.

٣ - ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٤، ص٤٨٣.

أحكام حرف الهاء

ويقصد بها الهاء المتطرفة في آخر الكلمة ولها حالات ثلاث:

الساكنة والمتحركة والمشدَّدة.

عبد الكريم الأنصاري

الحالة الأولى:

الهاء الساكنة وقفاً ووصلاً وأنواعها:

أ- هاء الضمير الساكنة نحو (أَرْجِهْ) كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[1]. أو نحو (فألقِهْ) كما في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[2].

ب- هاء السكت الساكنة وهي هاء زائدة تلحق الكلمة وليس لها حكم وجاءت في المواضع القرآنية الآتية: (يتسنَّه) ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[3]. (اقتده) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4]. (ما هيه) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[5]. (كتابيه) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[6].﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه﴾[7].(حسابيه) ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[8]. (ماليه) ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾[9]. (سلطانيه) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[10]. وهاء السكت هي سكون بديل عن سكون فمثلاً كلمة (ماليَه) أصلها (مالِيْ) أي أن الياء ساكنة وقفاً فإذا ألحقت بها هاء السكت ثبتت حركة الياء لتكون (ماليَهْ).

الحالة الثانية:

الهاء المتحركة بإحدى الحركات الإعرابية الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة)، وتختلف هذه الهاء عن سابقتها بأنها تلفظ مع حركتها وصلاً وتوافقها وقفاً:

أ: الهاء الأصلية: وهي هاء من أصل الكلمة وليست طارئة عليها وتلفظ كما هي: أي بدون مدّ حركتها عند الوصل مثال (الله) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (فواكهُ) ﴿فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾[11]، يلتهِ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[12].

ب- هاء ها التنبيه :وهي هاء متخلفة عن أداة التنبيه ها حذف الها لأجل التقاء الساكنين بعد أن اتصل بها الضمير (أيّ) في ثلاث مواضع من القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾[13]. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[14]. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[15].

ج: هاء اسم الإشارة: وتقع في اسم الإشارة هذه أي آخره على الكسر، ويستعمل للمفردة المؤنثة ويجوز فيه الإشباع (هي) وقد اتفق علماء التجويد على مدها إذا أتي بعدها بهمزة قطع مداً فرعيًا بمقدار ٤ أو ٥ حركات، هذه (إن هذه أمتكم أمة واحدة).

الهاء المبدلة: وأصلها تاء التأنيث غير المبسوطة انقلبت في الوقف هاء ساكنة، مثال ذلك

(جنة): (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ)[16]. (الطاغية) (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)[17]

هـ: هاء الضمير المتحركة (هاء الكناية) وهي هاء يُكنّى بها عن المفرد المذكر الغائب، وتأتي مع الاسم والفعل والحرف متطرفة الآخر تسكّن عند الوقف وتلفظ مع حركتها وصلاً.

ولحركة الهاء عند الوصل أحكام.

١. سورة الأعراف: الآية ١١١.
٢. سورة النمل: الآية ٢٨.
٣. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
٤. سورة الأنعام: الآية ٩٠.
٥. سورة القارعة: الآية ١٠.
٦. سورة الحاقة: الآية ١٩.
٧. سورة الحاقة: الآية ٢٥.
٨. سورة الحاقة: الآية ٢٠.
٩. سورة الحاقة: الآية ٢٨.
١٠. سورة الحاقة: الآية ٢٩.
١١. سورة الصافات: الآية ٤٢.
١٢. سورة العلق: الآية ١٥.
١٣. سورة الزخرف: الآية ٤٩.
١٤. سورة النور: الآية ٣١.
١٥. سورة الرحمن: الآية ٣١.
١٦. سورة القلم: الآية ١٧.
١٧. سورة الحاقة: الآية ٥.

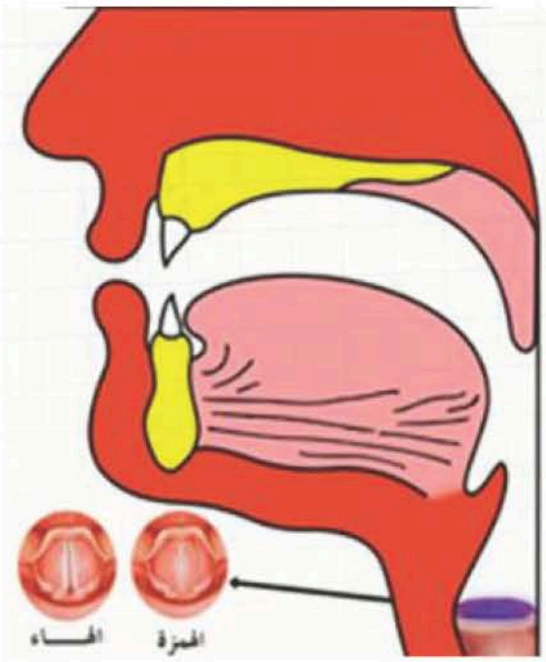

حركة هاء ضمير الكناية هي الضم أو الكسر، ويعرب مع الأسماء في محل جر مضاف إليه، ومع الأفعال في محل نصب مفعول به، ومع حروف الجر في محل جر بحرف الجر، ولحركة هاء الضمير عند الوصل بما بعده أحكام.

١- الإشباع: وهو تبديل حركة الضمير الضمه أو الكسرة إلى حرف مدّ حين تلفظ الهاء مع حركتها وصلاً بشرط أن تقع بين حرفين متحركين.

سكون. حركة مختلة. حركة إعرابية تامة. حرف مد طبيعي

مثال: إنَّهُ لقول = (إنَّهو لقول) حالة الضم.

من دونهِ ملتحداً = (من دونهي ملتحدا) حالة الكسر يدخل في هذا الحكم مع نقصان القاعدة قوله تعالى (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) لاعتبارات معنوية وذلك للتشنيع بالظالم، تسمّى حالة الإشباع هذه لحركة الهاء بالصلة الصغرى لأن الهاء اتصلت بحرف المد الأصلي لفظاً لا رسماً ومقدار مدّه حركتان.

٢- حالة المد الفرعي: وهنا تبدل حركة هاء الضمير (الضم أو الكسر) إلى حرف مد، يمد مداً فرعياً كحكم المد المنفصل -٤- حركات وذلك إذا اتى بعده همزة قطع في أول الكلمة التالية بعدها تسمى حالة المد هذه الحركة الهاء بالصلة الكبرى وذلك لاتصال الهاء بالمد الفرعي لفظاً لا رسماً.

٣- عدم الإشباع: وهو النطق بالهاء مع حركته (الضمة أو الكسرة) كما رسمت دون إشباع الحركة او مدها أي أنه ليس هناك مداً أصلياً كما في الحالة (أو فرعياً كما في الحالة (٢) وذلك في:

أ- إذا وقعت الهاء بين حرفين ساكنين. مثل: ﴿إليهِ المصير﴾.

ب: إذا سبقها حرف ساكن مثل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

ج: إذا سبقت حرفاً ساكناً مثل: ﴿قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

ويدخل في هذا الحكم رغم كمال قاعدته قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١٨] وذلك لاعتبارات لغوية أو توقيفية.

الحالة الثالثة:

الهاء المشددة أي الهاء المدغمة فترسم هاءً واحدة إذا كانت من بنية الكلمة وتقع في وسطها، مثل يطهرّكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٩]. أمّا الهاء المتطرفة وهي هاء الضمير المتصل فأنها تدغم لفظاً لا رسماً إذا سبقتها هاء أصلية أي من بنية الكلمة. مثال (يوجهْهُ) ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾[٢٠]. تلحق بالهاء المشددة (المدغمة) أنواع من الهاءات منها

هاء التركيب: وتقع عند كلمتين الأولى آخرها هاء ساكنة والثانية أولها هاء متحركة وتدغم لفظاً لا رسماً: مثال: ﴿ماليهْ هَلك﴾ فيحصل الإدغام هنا حسب قاعدة الإدغام عجازاً لا وجوباً، لأن الهاء الأولى هاء (ماليهْ) زائدة ليس من بنية الكلمة.

١٨. سورة الزمر: الآية ٧.

١٩. سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢٠. سورة الأحزاب: الآية ٧٦.

القارئ محمد مهدي المنصور
في ضيافة (ق والقرآن المجيد)

❖ رعد عبد الله التميمي

ولد محمد مهدي منصور المنصور في مدينة القطيف عام (١٤٠٣-١٩٨٢) م، أكمل دراسته الابتدائية، والمتوسطة ليحصل بعدها على شهادة الثانوية العامة من مدرسة أم الحمام الثانوية للبنين.

بدايته القرآنية:

بدأ تَعلُّم القرآن الكريم في المعلم (الكُتاب) من سن السابعة تشجيعاً من والده إلى أن التحق بمركز القرآن الكريم بأم الحمام عام (١٤١٧-١٩٩٦)، تأثر كثيراً بملهمه الأول ومشجعه الأستاذ/ مهدي رضا البوري (ابو عبد الباري) قارئ المنطقة، حيث انضم إلى البرنامج القرآني في قريته الذي كان يعتمد في منهجيته دراسة بعض العلوم القرآنية كالتجويد وبعض حصص التدبر، أكمل دراسته في البرنامج بجانب دراسته الأكاديمية في مدارس القرية، وحصل على شهادة إعداد معلم قرآني، واظب على حضور مجالس القراء في المنطقة، وكانت آنذاك قليلة ومحدودة ولكن كان لها أثر كبير في بناء القاعدة الأساسية القرآنية لديه، وفي تلك الأثناء كان يكثِّف من استماعه للمقاطع القرآنية التي تبث على المذياع، واعتمد وقتها على (المحاكاة والتقليد) لعدد كبير من القراء كعبد الباسط، والمنشاوي، ومصطفى إسماعيل، وشعبان الصياد، والشحات محمد أنور، وراغب مصطفى غلوش، والشيخ محمد شبيب، ومحمد بسيوني، وسيد متولي عبد العال، وأبو الوفا الصعيدي، وغيرهم الكثير، إلى أن خرج من نطاق المحاكاة واستطاع أن يصنع خَطّاً وأسلوباً خاصّاً به.

إنجازات:

❖ حصل على المركز الأول في مسابقة التلاوة المجودة لعام (١٤٢١)هـ في صفوي.

❖ حصل على المركز الأول في مسابقة التلاوة المجودة الخامسة لعام (١٤٢٩)هـ في القطيف - تاروت.

❖ حصل على المركز الأول في تَخَصُّص التلاوة المجوَّدة والقراءات حسب المعلمين لعام (١٤٣٢هـ أم الحمام.

❖ حصل على المركز الرابع بالتصفيات والسادس بالنهائيات للتلاوة المجودة على العالم في طهران عام (١٤٣٣)هـ ممثلا للمجلس القرآني المشترك بالقطيف والدمام.

❖ حصل على وسام التميز بمهرجان تكريم المشاريع القرآنية المتميزة على مستوى الخليج لعام (١٤٣٦) هـ والمنعقد بمركز القرآن الكريم بأم الحمام.

التحكيم:

❖ التحكيم في مسابقة الشيخ الدكتور عبد الفتاح علي الطاروطي الرابعة للتلاوة المجودة لعام (١٤٣٥)هـ بجمهورية مصر العربية .

❖ مُنظم ونائب رئيس لجنة التحكيم في مسابقة المجلس القرآني المشترك لعام (١٤٣٦)هـ

❖ مُحكم بمسابقة الذكر الحكيم بدولة البحرين الشقيقة لعام (١٤٣٦) هـ

الشهادات:

❖ إجازة في رواية حفص عن عاصم من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لبنان من الدكتور مخلص السجدة عام ١٤٢٠ هـ.

❖ شهادة إنهاء الدورة التجويدية لعام ١٤٢٧هـ دار القرآن بحرم السيدة المعصومة .

❖ شهادة انهاء دورة إعداد المعلمين في الصوت والنغم وطرق تدريس التجويد والتحكيم بتقدير ممتاز من دار القرآن الكريم بحرم السيدة المعصومة عليها السلام.

❖ شهادة دبلوم علوم القرآن الكريم للمعلمين عام ١٤٣٠هـ

❖ إجازة القراءة والإقراء في القراءات العشر الصغرى على يد الشيخ مهدي المصلى عام ١٤٣٤هـ.

❖ إجازة القراءة والإقراء في القراءات العشر الكبرى على يد الشيخ عبد القوى العيسوي الأزهري جمهورية مصر العربية. عام ١٤٣٥ هـ.

❖ شهادة أستاذ في المقامات القرآنية وتسجيل كامل المقامات بالصوت على يد خبير الأصوات والمقامات الأستاذ طه عبد الوهاب ١٤٣٥هـ جمهورية مصر العربية.

❖ إجازة في الوقف والابتداء على يد الشيخ / عبد القوي العيسوي الأزهري جمهورية مصر العربية.

أبرز المشاركات :

❖ الامسيات القرآنية بالعديد من دول الخليج والعالم الاسلامي.

❖ مهرجان سعيد بن جبير للسنة الثانية عام (١٤٣٥) هـ في العراق ممثلاً للمجلس القرآني المشترك بالقطيف والدمام.

الدورات المقدمة:

❖ دورات المقامات لمدة خمس سنوات في مركز القرآن الكريم بصفوى من (١٤٢٧- ١٤٣٢) هـ.

❖ دورات المقامات بالإحساء مركز دار الرحمن عام ١٤٣٢هـ

❖ دورة المقامات بمسجد بهباني الأولى ١٤٣٣ والثانية ١٤٣٤ هـ.

❖ دورة المقامات في دار الذاكرين للقرآن الكريم بقرية الفضول بالإحساء من عام ١٤٣٥هـ

❖ دورة المقامات بقرية الخرس بالإحساء عام ١٤٣٣ هـ.

❖ دورات المقامات في مؤسسة الثقلين لعلوم للقرآن الكريم بالقطيف من عام ١٤٣١هـ حتى الآن١٤٣٧هـ.

❖ دورات المقامات بالتنسيق مع المجلس القرآني المشترك بالإحساء المنعقدة في دار حلقات الثقلين بقرية الطرف والثانية في دار القرآن الكريم بالرميلة ١٤٣٧هـ

❖ أجاز الكثير من القراء ومعلّمي المراكز القرآنية في القطيف والدمام والإحساء والكويت (برواية حفص عن عاصم) .

المناصب

❖ نائب رئيس اللجنة الإشرافية بمركز القرآن الكريم بأم الحمام.

❖ رئيس سابق لمركز القرآن بأم الحمام.

❖ عضو لجنة المجتبى للموشحات الإسلامية من عام ١٤٢٠ حتى ١٤٢٤ هـ.

❖ رئيس فرقة النور للموشحات الإسلامية من عام ١٤٢٤ حتى تاريخه الآن.

❖ عضو اللجنة الإشرافية في مركز القرآن الكريم بأم الحمام من عام ١٤٣٠هـ حتى تاريخه الآن.

❖ نائب رئيس سابق لمؤسسة الثقلين لعلوم القرآن الكريم والحديث من ١٤٣٣هـ حتى شوال ١٤٣٧هـ

كلمة حرة:

أتوجه لجميع إخواني الشباب المقبلين على المجال القرآني بأن يكون إقبالهم مُنظَّماً ومدروساً متدرجين من العلوم الأساسية كالتجويد وتصحيح التلاوة وبعض البحوث التفسيرية إلى علوم القراءات والمقامات، حتى تكون قراءتهم مبنية على أساس سليم ومحكم، وأن يأخذوا العلم من أهله ويعودوا لذوي الاختصاص، فالعلم يؤخذ مشافهة من أهله، فهذه تجربتي على مدى تسعة عشر عاماً من العمل الدؤوب والجاد في التحصيل والدراسة وحضور دورات مكثفة على يد مدرسين وخبراء ذوي كفاءة، استطعت بفضل الله تعالى أن أكون ما أنا عليه الآن ومازلت أشعر بأني في بداية الطريق، فالعلم بحر لا ساحل له مهما نهم المرء في تحصيله لايمكنه ذلك، كما أشيد بهذا الصرح القرآني الكبير المتمثل في مجلة (ق والقرآن المجيد) والجهود الواضحة التي تقوم بها في تغطية جميع الأنشطة القرآنية في المنطقة، وإبراز دور القراء الكبار، وما قاموا به من جهود كبيرة في المجال القرآني، تشجيعاً لشبابنا الواعد للانخراط في هذا المجال المبارك، كما أتوجه بالشكر الجزيل للأمانة العامة للروضة الكاظمية على هذا العطاء القرآني الكريم، كما نسأل الله العلي القدير أن يمن علينا بالتوفيق والسداد لدوام السير في هذا الطريق المبارك إنه سميع مجيب .

أضواء من قناديل رائية الخاقاني في التجويد

ت (٣٢٥ هـ)

الحلقة ٩

د. كريم الزبيدي

(٣٨) وأَنعِمْ بيانَ العَينِ والهَاءِ كلما - درسْتَ وكنْ في الدَّرسِ معتدِلَ الأمرِ

البيان هو الوضوح والظهور والفصاحة، وأنعم الأمر بالغ فيه وأجاد.

اذن هنا يطلب الناظم منا المبالغة والإجادة في وضوح وفصاحة لفظ العين والهاء، ولم يخصهما بذلك لأن هناك مشاكل في أدائهما عند القرّاء، ويقرن ذلك بكل حين تدرس فيه أي تتعلم تجويدهما حيث إنَّ بذل الجهد يكون في مراحل التعلم الأولى مع اشتراط الاعتدال في أمر الدرس، أي بعدم المبالغة والتنطّع والتعسف في الأداء، ولا بإهمال ضبط اللفظ فيفقد الحرف هويته.

وهنا أقول: إني لأعجب من الناظم ان يطلب الاتقان والضبط ووو في قرن زمانه ذاك، فكيف به إذا جاء الآن واستمع للفظ الناس الحالي في زمن تردت اللغة أيما تردٍّ وأصبحت لغة القرآن من الغرابة بشكل يجعل الناطقين بها غرباء فطوبى لهم.

فيا ترى ماهي معضلات لفظ الهاء والعين التي يخشى الخاقاني أنْ لا ينعم القارئ معها بيانهما؟

الهاء أضعف الحروف على الاطلاق، فليس فيه صفة قوة مطلقاً، فهو مهموس، رخو، منفتح، مستفل، لا يملك من الصفات المحسَّنة شيئاً، ولأنه الأضعف فعند المجاورة لغيره يخشى عليه اكتساب ما لا يليق به، وخصوصاً سلب رقته اذا جاور مفخما كما في: ﴿إن اللهَ غفورٌ﴾، ﴿اللهَ خبير﴾، وغيرها.

ولأنه عبارة عن كتلة هوائية بامتياز فإنَّ القارئ لحرصه على عدم هدر الهواء لاحتياجه لإكمال نصه القرآني، فقد يحاول تقليل ضخ الهواء فيضيع صوت الهاء ذو الهيَّة أو الهيَّة كما يصفه الفراهيدي، أو يحاول ضغط مخرجه بأقصى الحلق (الحنجرة – الحبلين الصوتيين) وهذا يكسبه شيئاً من الجهر الخفي ولا يسلم من هذا التصرف الصوتي جل من سمعته من القرّاء.

ولأن الهاء هوائي الصوت فإنه اذا وُقف عليه مسبوقاً بحرف مهموس ساكن قد أُهدر هواء النفس في همس رخاوته، فإننا نخشى عليه من الضياع والاختفاء تماما، كما في الوقف على: يُوَجِّهُ، فَسَيَحْهُ، تَمْسَسْهُ، نُنَكِّسْهُ، يَسْلُكْهُ، تَتْرُكْهُ، زَادَتْهُ، فَأَهْلَكْتُهُ، يُضَاعِفْهُ.

وأنا أنصح هنا بعدم الوقف على هذه الكلمات لتفادي ضياع الهاء.

أما العين البينية المتوسطة فلا هي رخوة برخاوة السين مثلاً ولا شديدة بشدة الكاف مثلاً، فإنْ ضغطتَ على مخرجها ذهبتَ ببعض رخاوتها، وإنْ أرخيتَ لها الزمام أشبهت الحاء لأنك ذهبت ببعض شدتها.

ويكون هذا الأمر آكد إذا جاورت التاء مثلاً كما في: أعْتدنا، معْشار، إعْصار، وذلك لأن عدم إعطاء العين الساكنة زمن رخاوتها يجعلها تكسب همس الحرف التالي قبل حلول أوانه، وما بين العين والحاء إلا الهمس والجهر، فالعين بينيّ والحاء رخو وهذا ليس بكبير فرق يمكن أنْ نتلمس في ضبطه حصانة لأحدهما على الآخر، وكلاهما مستفل منفتح، ولا يملكان أي صفة محسنة يمكن أن تراعى في الأداء، فيكتسب أحدهما ما يجعله مستقلاً بلفظه.

لكن الصفة المميزة المتضادة الوحيدة هي جهر أو أزيز العين وهمس الحاء، ولا ننسى أنَّ مخرجهما مشترك وهو من وسط الحلق، أي إنَّ لسان المزمار النابع من جذر اللسان يلامس السطح الخلفي للبلعوم (الحلق) لمساً يسمح بخروج الهواء بصوت مهموس من مخرجه في الحاء ويلتصق عليه في العين ليخرج الهواء بصوت مجهور.

ومن اللطافة هنا أنْ يطلب الناظم الاعتدال بقوله: (وكنْ في الدَّرسِ معتدِلَ الأمرِ) فإنَّ الملاحظ في لفظ الحرف ساكناً أنَّ الضغط الزائد في مخرج العين يجعله شديداً عسر الخروج وهو متوسط الشدة، وفي مخرج الحاء يجعله كالمبحوح بحَّة شديدة، والمطلوب هو البحَّة الخفيفة، كما قال الفراهيدي: إنَّ في الحاء بحَّة، فالحاء رخو بامتياز.

ولو أرخى القارئ عينه وحاءه بإفراط - أي أبعد لسان مزماره عن ما يقابله من جدار البلعوم الخلفي- فسترخى حاؤه ليتسع مخرجها فيصبح هاء، وسيرخى عينه رخاوة الرخو وهو متوسط بيني ويفقد هويته الصوتية.

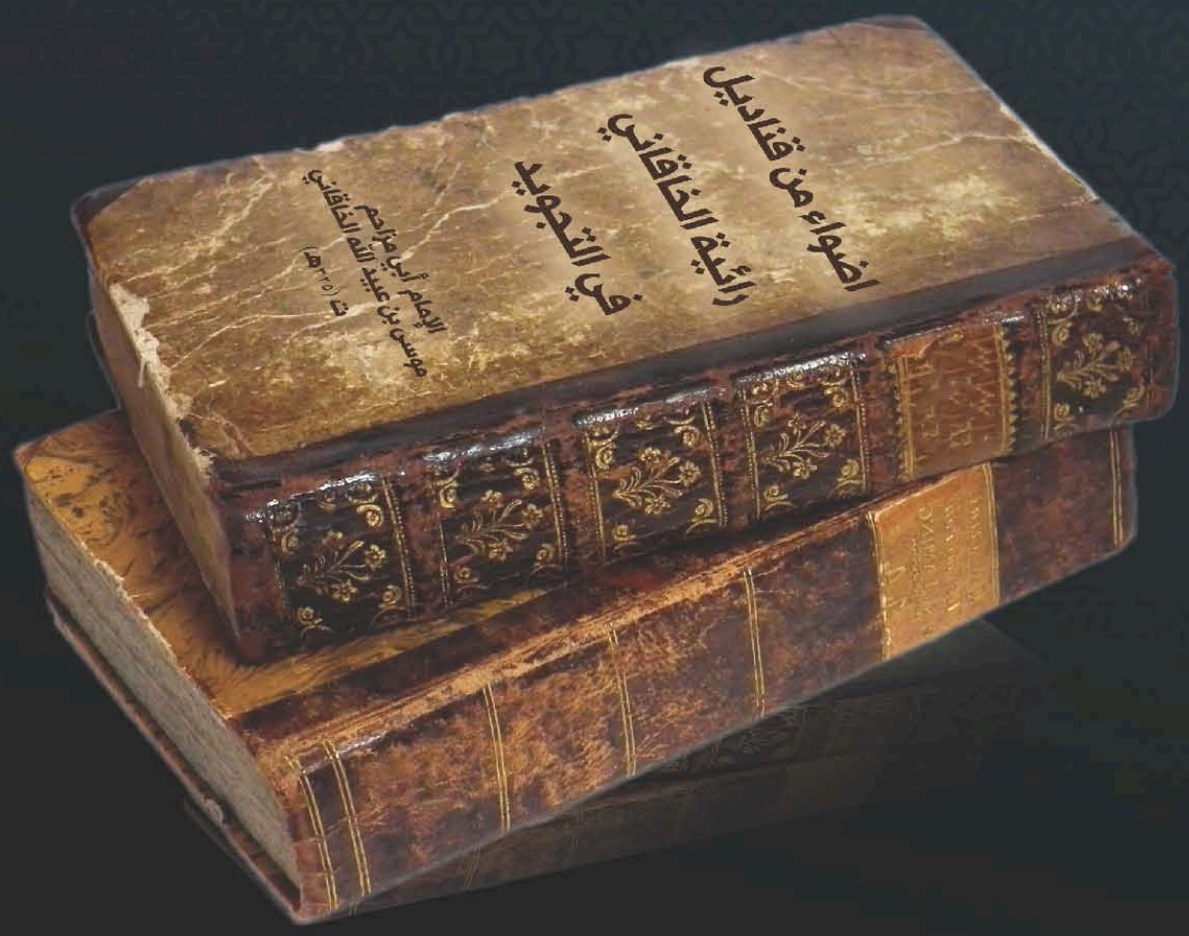

(٣٩) وقفْ عندَ إتمامِ الكلامِ موافقاً - لمُصحَفِنا المَتْلُوّ في البرّ والبحْرِ..

وهنا يأمرك بالوقف عند التلاوة عندما تتم جملتك القرآنية مفيدة تامة المعنى، غير متعلقة بما بعدها تعلقاً لفظياً على ما هو معروف عند أئمة الوقف في مطاوي كتبهم، بالحسن والجائز والصالح وغيره، فلو فصل الجار عن المجرور، والفعل عن فاعله، والنعت عن منعوته والمضاف عن المضاف إليه وووووو لكان الوقف قبيحاً.

اذن هو لا يعني هنا حكم الوقف المعروف بالوقف التام، وإلا فإنَّ الأمر بالوقف بالتمام مطالبة بالعسر الذي ما بعده عسر، فإنَّ المقاطع الكلامية في كثير من مطالب الكتاب العزيز طويلة لدرجة لا يستطيع تحمل إدامة النفس الصوتي أي قارئ للقرآن، وبنفس الوقت فإنها ليست من الأداء البلاغي الممدوح، حيث إنَّ تجزئة المطلب في كثير من الأحيان يعتبر من مقومات الترتيل الداعي إلى التدبر المأمور به في التلاوة.

فمثلاً لو أراد القارئ أنْ يسرد قصة أحد الأنبياء- عليهم وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام- بنفس واحد رجاء لتمامية الوقف بما اصطلح عليه بالتام، فإنه سيكون أمراً مستحيلاً من جهة، والطلب بفعله ضرب من العبث من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة سيكون مانعاً عن الإنصات الداعي للرحمة والتدبر، فالنفس مجبولة على الاستمتاع بسماع الجمل المفيدة القصيرة، والمتوسطة الطول، والتفاعل معها، والتهيُّؤ لتكملة فهم المعنى بطوله المسرود في موضعه في الكتاب، وهو من أركان التدبر بلا شك.

فملخص القول اذن: إنَّ الناظم يأمرنا بالوقف بتمام معنى الجملة المتلوّة، لا بتمام أو اكتمال المطلب كله، والانتقال إلى مطلب جديد.

ولكن السؤال هنا لماذا قال: موافقاً لمصحفنا؟

الاحتمال الأول: إنه أراد موافقة المصحف المرسوم والمضبوط لكل مصر من الأمصار، فالكل متفق على وجود حروف مختلف عليها بين المصاحف المدنية والكوفية مثلاً، وكذلك في عد الآي ورؤوسها.

الاحتمال الثاني: إنه أراد موافقة المصحف في علامات الوقف، وهذا مستبعد: لأن علامات الوقف لم تكن في قرن الناظم قد روعيت وأثبتت في المصاحف.

ومن الملاحظ أن الناظم حدد المصحف بكلمة (المتلوّ)؟ وهذا يدل على أنَّ المصحف المرسوم ليس معلماً للتلاوة المجودة، بل إنَّ التلاوة على مقرئ هي المعيار المعتمد للتعلم، فالقراءة سنة متبعة وكما قيل لا تأخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي، وهذه إشارة رائعة من الناظم لتسميته المصحف بالمتلوّ.

ولكن ابن الجزري أشار الى معنًى خفي في هذا البيت، وهو مراعاة كيفيات الوقف على الكلمات باعتبار رسم أواخرها، بإبدال وحذف وإثبات وقطع ووصل للكلمات المتصلة مع بعضها، ففي كل ذلك يجب مراعاة مرسوم الخط، إذ قال ابن الجزري في النشر ج٢ ص١٢٨ في الوقف على مرسوم الخط: ((وقد أجمع أهل الأداء وأئمة الإقراء على لزوم مرسوم المصاحف فيما تدعو الحاجة إليه اختياراً واضطراراً فيوقف على الكلمة الموقوف عليها أو المسؤول عنها على وفق رسمها في الهجاء، وذلك باعتبار الأواخر من الإبدال والحذف والإثبات، وتفكيك الكلمات بعضها من بعض من وصل وقطع، فما كتب من كلمتين موصولتين لم يوقف إلا على الثانية منهما، وما كتب منهما مفصولاً نحو (ران) يوقف على كل واحدة منهما، هذا هو الذي عليه العمل عن أئمة الأمصار في كل الأعصار، وقد ورد ذلك نصاً وأداءً عن نافع وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف، ورواه كذلك نصاً الأهوازي وغيره عن ابن عامر، ورواه كذلك أئمة العراقيين عن كل القراء بالنص والأداء وهو المختار عندنا وعند من تقدمنا للجميع، وهو الذي لا يوجد نص بخلافه، وبه نأخذ لجميعهم كما أخذ علينا، وإلى ذلك أشار أبو مزاحم الخاقاني بقوله:

وقف عند إتمام الكلام موافقاً = لمصحفنا المتلو في البر والبحر)) ا.هـ بلفظه.

ويمكن قبول هذا المعنى الذي فهمه ابن الجزري بشرط صحة الوقف على الكلمة المرسومة برسم غريب اختياراً، أما الاضطرار الذي جمعه ابن الجزري مع الاختيار فلا يعطي معنى التمام الذي اشترطه الناظم، فمثلاً لا يصح الوقف على (رحمت وسنت وامرأت) المضافة -بالتاء لا بالهاء- الا اضطراراً، ولا شك انه لا يعطي معنى تاماً، مع العلم أنَّ هذا ليس من المتفق عليه، إذ يقف ابن كثير والكسائي والبصريان بالهاء لا بالتاء كالباقين.

ومثل ذلك كثير من ظواهر الرسم القرآني واختلاف كيفيات الوقف عليها، ولهذا لا أرى أنَّ الناظم قد أشار الى هذا المعنى كما فهمه ابن الجزري.

قصة امرأة لوط عليه السلام

تنوع أساليب الطرح القرآني لقضايا ما جاء به من مفاهيم مختلفة كالأحكام الدينية والنصوص العقائدية والموعظة الحسنة وغيرها مما ورد فيه، تعد أحد مصاديق الإعجاز التي شملها الكتاب المجيد. وأحد هذه الأساليب هي القصة، حيث وردت مساهمة في تحقيق هدف رسالة السماء المتمثلة بعملية التغيير الشاملة للمجتمع الإنساني بكل جوانبه، سواء تلك التي تقع ضمن دائرة النفس أو ضمن محيطها، ولما كانت كذلك (يمكن أن نقول أن القصة هي من أهم هذه الأساليب)[1]. وقد يعود ذلك للأكثر من سبب منها استئناس الناس بالأسلوب القصصي وبالتالي استماعها، وسهولة الوصول إلى الهدف المنشود الذي عنته القصة حتى ولو كان يتوقف عند المفاهيم العامة دون الوصول للنكات الأساسية المراد الإشارة إليها والتي تحتاج بطبيعتها إلى أولي علم يشيرون إليها ويوضحونها ويفسرونها، واستجابة الفرد لها لما يُحتاج الأحداث الواقعية[2] من تأثير على عقل الإنسان وعاطفته في آن واحد. ومن هنا ندرك جدوى تنوع قصص القرآن، ليس من حيث الموضوع فحسب، وإنما التخصيص كذلك. فكما جاء القرآن الكريم بقصص تم من خلالها ذكر وقائع حدثت مع العاصين من الرجال، جاء أيضاً بما وقع مع نساء الرعيل الأول، إذ لم يستثنِ القرآن الكريم المرأة من أن تكون أنموذجاً يقرأ الناس أحداث جرت في حياتها، ليستدلوا من خلالها على قضايا ترتبط بجانب معين من الحياة. وفي محاولة منا نشرع في بحث سطور هذه الصفحة الخاصة بذكر المرأة في القرآن بما ورد من قصص بعضهن في القرآن الكريم، محاولين الإشارة إلى أهم الأهداف التي أشارت إليها القصة. وإذ نحيي في هذا الشهر (شهر ذي القعدة) ذكرى أدمت قلوب المؤمنين ألا وهي ذكرى استشهاد تاسع الأئمة المعاصرين الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، اخترنا الحديث عن قصة زوجة نبي الله لوط عليه السلام (واهلة)[3] لوجه التشابه الواقع بين فعلها وفعل تلك التي خلا ذكرها من الفضائل وما عرفت منه إلا كنية اختارها أهلها لها، فأصبحت مجرد اسم على غير مسمى أعني بها (أم الفضل) زوجة الإمام الجواد عليه السلام إذ تُشابهها بالخيانة التابعة من بعد دوانهن عن حقيقة الإيمان على الرغم من قربهن ممن اختارهم الله تعالى ليكونوا للناس أدلاء على الإيمان وترجمان معانيه الحقة. إلا أن هذا القرب لم ينفعهن بشيء، إذ ران على قلوبهن حجب تلدنها وتلدانها التي ارتدت عطمتها في نفوسهن، مما وئد عندهن الإصرار على معصية المعبود، على الرغم من وجوب أن يكون هن أكثر الناس إيماناً وطاعة لقربهن من وليه، ولاطلاعهن على صدقهما في حقيقة الأمر الذي أوكله الله تعالى لهم كذلك أحقيته كما رأينا الصالحات من نساء الأنبياء على ذلك أمثال السيدة خديجة عليها السلام، فقد ورد ذكر واهلة في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا)[4]. وفي قوله عز من قائل: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ* فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

---

١. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٢٥٣-٢٥٤.

٢. في بيانات وأهمية القصص القرآنية وسبق اليوم عليها قدم السيد محمد الصدر قدس سره مجموعة من الأدلة نذكر منها: (١) القرآن الثالث. إنه ثبت في (علم الأصول) أن ظاهر القرآن حجة، ولا شك أن ظاهر القرآن في قصصه هو مطابقتها للواقع، فتكون حجيتها من هذه الناحية. (وبلزم الإيمان بمطابقتها). القرآن الرابع في القرآن يشهد في عدد معتد به من آياته بمطابقة قصصه للواقع التاريخي مثل قوله (كل في فضحيهم عزم)، وقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) وليس اليوم عليها إلا ما وراء الطبيعة. ج ١، ص ١٢٥.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١١، ص ٩. ٣ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٦٤.

٤. سورة التحريم، الآية ١٠.

٥. الشعراء - الآية ١٦٨.

رغد عزيز

المُخرَجين)[6]. وقد جاء في توضيح (كانتا تحتَ) أن(المراد بكونهما تحتهما زوجيتهما لهما)[7]. وفي(فخانتاهما) (قال ابن عباس: كانت امرأة نوح وامرأة لوط منافقتين(فخانتاهما)، كانت امرأة نوح، تقول للناس انه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه، فكان ذلك خيانتهما لهما،وما زنت امرأة نبي قط، لما في ذلك من التنفير عن الرسول والحاق الوصمة به، فمن نسب أحدا من زوجات النبي إلى الزنا، فقد أخطأ خطأ عظيما،وليس ذلك قولا لمحصل، ثم قال (فلم يغنيا عنهما، أي لم يغن نوح ولوط عن المرأتين(من اللهِ شيْئًا) أي لم ينجياهما من عقاب الله وعذابه (وقيل) لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين من الكفار)[8]. فقد تعاونت زوجة النبي لوط عليه السلام مع قومها لتهلكه، وفي تفاصيل قصتها جاء عن أبي جعفر عليه السلام (إن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نارلاً فيهم ولم يكن منهم، يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون بخلاء أشحاء على الطعام... فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فصحوه، وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا: لا تُقْرِ ضيفاً فإنك إن فعلت فضحنا ضيفك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، [ولما نزل عنده الملائكة ضيوف] جاء لوط إلى أهله، فقال: قد أتاني أضياف هذه الليلة فاكتمي أمرهم، قالت: أفعل، وكانت العلامة بينها وبين قومها أنه إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن من فوق السطح، وإذا كان بالليل توقد النار، فلما دخل جبرائيل عليه السلام والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً، فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون إليه أي يسرعون، ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه، فضرب جبرائيل عليه السلام بجناحه على عيونهم فطمسها، فقال عليه السلام يا لوط اخرج من بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك، ثم قلبها عاليها وسافلها، وهو قول الله عز وجل(فجعلْنا عاليَها سافلَها) وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بأن أرسل الله عليها صخرة فقتلها)[9]. وأم الفضل كانت كذلك إذ سعت لهلكة الإمام الجواد عليه السلام فقد مثلت أحد أضلاع (مثلث الاضمحلال) - كما عبر عنه البعض - المتكون منها وعمها المعتصم وأخاها جعفر لعنة الله عليهم أجمعين، فكانت هي المنفذ لخطة قتله عليه السلام[10].

الغدر والخداع بما جاء من عند الله تعالى في ذكر سيرة الأولين أحد أسباب إسقاط النفس من عملها، والاعتبار من عواقب أمورهم فقد جاء النداء(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)[11]. وفعل(واهلة) وجزائها عليه جعله الله مثلاً يدل على عاقبة كل من عصى الله عز وجل وسعى لنصرة الباطل، فما على الإنسان إلا الغدر والخداع فيه.

6. سورة الأعراف، الآيات ٨٢ – ٨٤
7. الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج١٩، ص٢٤٢
8. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج ١، ص٥٢

9. تفسير أبي حمزة الثمالي، أبو حمزة الثمالي، ص١٧٥

١. المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون، ثامن الخلفاء بعد المأمون في عمال سنة ثمان عشرة ومائتين عمل الحيلة في قتل أبي جعفر وأشار إلى أمه المأمون وأخته بأن تسقيه لأنه وقف على اخراجها عن أبي جعفر عليه السلام وخدمة عورتها عليه، لتسقيه أم أبي الحسن عليه السلام لأنه لم يرق منها ولد فأحالته إلى ذلك وحدثت نفسها في عتب وأرخى لها ضفيرته بين يديه، فلما أكل منه ندمت وحدثت نفسي، فقال عليه السلام: ما كان لك وللعب بضفيرتك قتله بصفر لا يبحر، ولا، لا يتيسر فصلت بعلة في أبعض المواضع من حواريها.
11. سورة يوسف، الآية ١١١

الإمام الكاظم عليه السلام
وآثاره في تفسير القرآن الكريم
الحلقة ٤

❖ الشيخ د. عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١] في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية، ونتحدث في هذه الصفحات القرآنية عن آيتين مباركتين -الرابعة والخامسة- تتعلقان بمسائل الحج، مع بيان ما يتعلق بهما.

- **الآية الرابعة** / قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[٢]

❖ عن ربعي بن عبد الله[٣] قال: ((سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله الله عز وجل: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾؟ قال: يوم قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، فمن فاته ذلك فليقضِ ذلك في بقية ذي الحجة فإنَّ الله يقول في كتابه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾)).[٥]

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين حكمًا شرعيًّا من أحكام الحج وهو ما يتعلق بالصيام بدل الهدي عند فقدانه أو عدم وجود ثمنه، وهناك روايات أخرى عن الأئمة عليهم السلام تبين ما يتعلق بهذه المسألة، ونحاول بعجالة بيان مسألتين فقهيتين في هذا الموضوع، الأولى: الحكم الشرعي المتعلق بالصوم بدل الهدي، والثانية: أحكام مَنْ فاتته الأيام الثلاثة في الرواية.

وقبل أنْ نبين ما يتعلق بالمسألتين فلا يخفى على القارىء الكريم أنَّ الهدي (أي الذبح أو النحر) هو الواجب الخامس من واجبات حج التمتع الثلاثة عشر التي يجب على كُلّ حاجّ الإتيان بها بعد الواجبات الخمسة لعمرة التمتع[٦].

١. سورة البقرة: الآية ٥٧
٢. سورة البقرة: الآية ١٩٦
٣. ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي، أبو نعيم، بصري، ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وصحب الفضيل بن يسار وأكثر الأخذ عنه، وكان خصيصًا به. السيد الخوئي رحمه الله: معجم رجال الحديث ٨/١٦٧

٤. سورة البقرة: الآية ١٩٧
٥. وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن: ١٤/١٨٤ باب (إنَّ من لم يجد ثمن الهدي لزمه صوم ثلاثة أيام متوالية في الحج، ويستحب كون آخرها يوم عرفة، وسبعة إذا رجع إلى أهله) الحديث ١٥
٦. واجبات عمرة التمتع خمسة: ١- الإحرام من المواقيت. ٢- الطواف حول البيت. ٣- صلاة الطواف. ٤- السعي. ٥- التقصير. وواجبات حج التمتع ثلاثة عشر: ١- الإحرام من مكة. ٢- الوقوف في عرفات. ٣- الوقوف في المزدلفة. ٤- رمي جمرة العقبة في منى. ٥- النحر أو الذبح. ٦- الحلق أو التقصير. ٧- طواف الزيارة بعد الرجوع إلى مكة. ٨- صلاة الطواف.

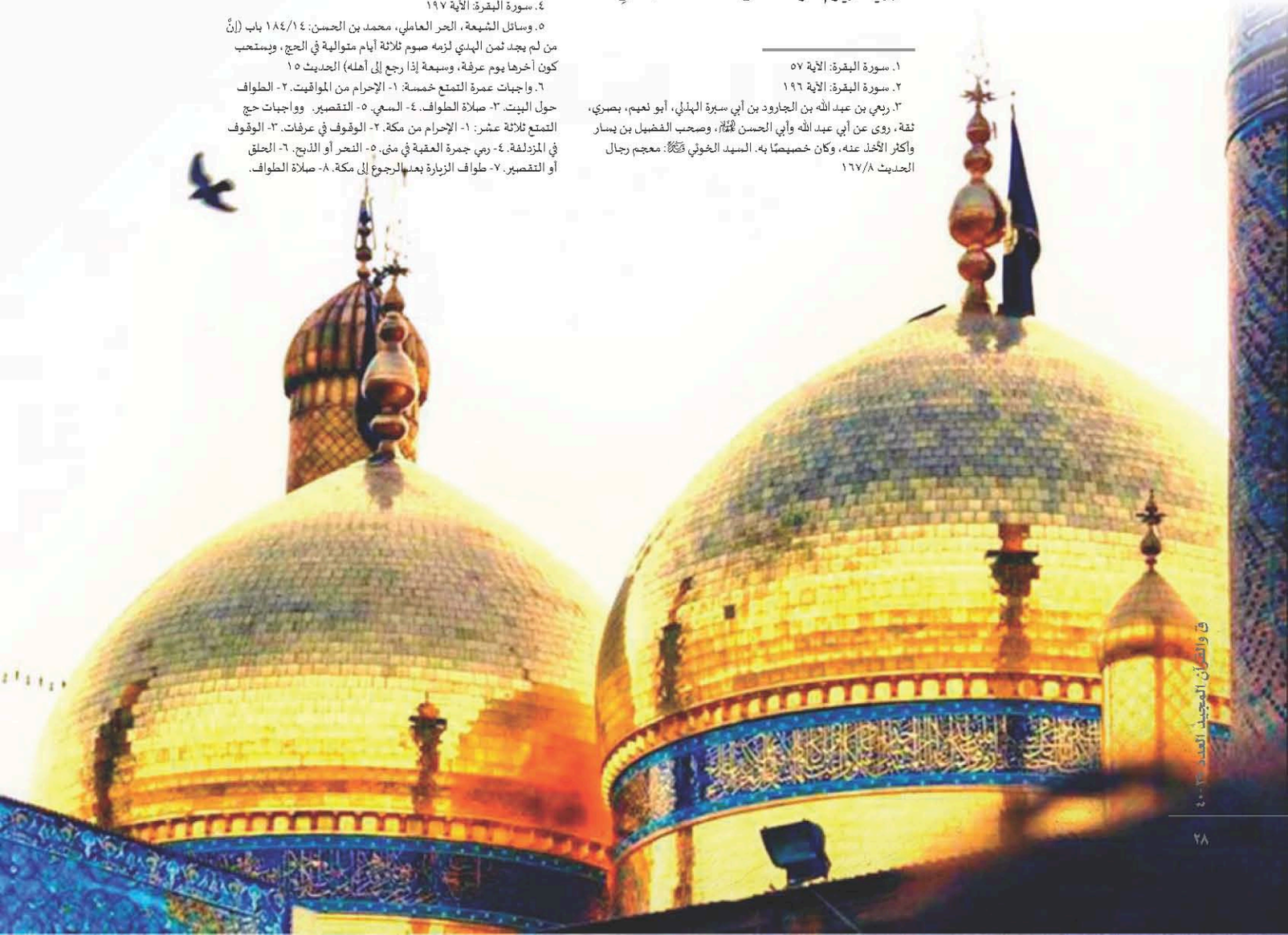

- المسألة الأولى: فيما يتعلق بهذه المسألة فقد آستدل العلماء بهذه الآية الشريفة والروايات الواردة في تفسيرها على حكم الصوم بدل الهدي، قال «قطب الدين الراوندي» (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م) في كتابه المتعلق بآيات الأحكام: ((والهدي واجب على المتمتع بالعمرة إلى الحج، ومَنْ لم يقدر عليه وجب عليه صيام عشرة أيام، فالهدي على الحاج المتمتع واجب بلا خلاف لظاهر القرآن، وقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ المعنى كاملة من الهدي إذا وقعت بدلاً منه آستكملت ثوابه)) [٧]، وفيه أيضًا قال «المقداد السيوري» (ت٨٢٦هـ/١٤٢٣م) في بيان فروع أحكام الحج من خلال الآية الشريفة: ((وإذا عدم الثمن أيضًا [وقد عدم الهدي] صام، ثم الصوم في الحج هو أنْ يصوم يومًا قبل التروية ويومها ويوم عرفة متتابعًا .... السبعة يصومها إذا فرغ من أفعال الحج بعد الرجوع إلى أهله، ولو أقام بمكة آنتظر قدر وصول صحبه أو مضي شهر)) [٨]، وفيما يتعلق من تتابع أيام الصوم وعدمه فقد آستظهر العلماء وجوب ذلك في الثلاثة إلا في موارد، وأما السبعة ففيه كلام بين التتابع وعدمه، والتتابع أحوط، وقد فصل الأعلام في ذلك، ونذكر من ذلك ما قاله الشيخ «الجواد الكاظمي» (ت١٠٦٥هـ/١٦٥٥م): ((﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ﴾ في أيامه وهو تمام ذي الحجة على ما دلت عليه صحيحة رفاعة [٩] وآنعقد إجماعنا عليه، وهي وإنْ كانت مطلقة في التتالي وعدمه إلا أنَّ الإجماع على آعتبار التتالي في صومها إلا في صورة خاصة، وهي ما لو فاتته قبل يوم التروية [١٠] فإنَّه يصوم التروية وعرفة، والثالث بعد العيد وأيام التشريق [١١]، وفي الأخبار دلالة عليه.... ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي إلى أهليكم وهو الظاهر من الرجوع، ولا خلاف في ذلك بين أصحابنا، وقد تظافرت أخبارهم الواردة عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم بذلك)) [١٢].

ومما ذكره الفقهاء في المسألة نذكر من ذلك ما قال سماحة «السيد علي الحسيني السيستاني» «دام ظله»: ((مسألة ٣٩٣: إذا لم يتمكن من الهدي ولا من ثمنه صام -بدلاً عنه- عشرة أيام، يأتي بثلاثة منها في شهر ذي الحجة، والأحوط أنْ يكون ذلك في اليوم السابع والثامن والتاسع، ولا يقدمه عليها ويأتي بالسبعة المتبقية إذا رجع إلى بلده ولا يجزئه الإتيان بها في مكة أو في الطريق، وإذا لم يرجع إلى بلده، وأقام بمكة فعليه أنْ يصبر حتى يرجع أصحابه إلى بلدهم، أو يمضي شهر ثم يصوم بعد ذلك، ويعتبر التوالي في الثلاثة الأولى، ولا يعتبر ذلك في السبعة وإنْ كان أحوط)) [١٣].

- المسألة الثانية: وفيما يتعلق بهذه المسألة فالرواية الشريفة قد حددت الحكم بقضاء الصوم فيما تبقى من الشهر، وهذا ما ورد في قول الإمام عليه السلام: (فليقض ذلك في بقية ذي الحجة)، وهذا الحكم قد آستفاده العلماء من خلال الآية المباركة والرواية الشريفة، فيجب عليه حينئذ صوم الأيام الثلاثة في الحج في غير تلك الأيام المتقدمة، والأيام السبعة إذا رجع إلى أهله، قال الشيخ «الجواد الكاظمي»: ((ولكن آتفق الجميع على أنَّ أفضل أوقاته [أي ليس وجوبًا] أنْ يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه إذا علم عدم الوجدان في محله، وقد دلت على ذلك الأخبار الكثيرة روى رفاعة قال: سألت الصادق عليه السلام: فإنْ قدم يوم التروية [أي ولم يصم]، قال: يصوم ثلاثة أيام بعد أيام التشريق. قلت: لم يقم عليه جماله، قال: يصوم يوم الحصبة وبعده يومين. قال: قلت: وما الحصبة؟ قال: يوم نفره [أي يوم نفور الحجاج من منى وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة] قلت: يصوم وهو مسافرا؟ قال: نعم، أفَلَيْسَ هو يوم عرفة مسافرًا؟ إنَّا أهل البيت نقول ذلك، لقول الله عز وجل: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ﴾ يقول: في ذي الحجة. [١٤] ونحوها من الأخبار المعتبرة الإسناد الدالة على جواز الصوم تلك الأيام)) [١٥].

وإجمالاً فهذا هو رأي فقهائنا في المسألة، قال السيد «السيستاني» «دام ظله»: ((مسألة ٣٩٤: المكلف الذي وجب عليه صوم ثلاثة أيام في الحج، إذا فاته صوم جميعها قبل يوم العيد لم يجزئه على الأحوط أن يصومها في اليوم الثامن والتاسع ويومًا آخر بعد رجوعه إلى منى، والأفضل أنْ لا يبدأ بها إلا بعد آنقضاء أيام التشريق، وإنْ كان يجوز له البداء من اليوم الثالث عشر إذا كان رجوعه من منى قبله، بل وإنْ كان رجوعه فيه على الأظهر، والأحوط الأولى المبادرة إلى الصوم بعد أيام التشريق وعدم تأخيره من دون عذر ....)) [١٦]، فالحكم يوافق الرواية والآية في الصوم خلال الشهر كله من ذي الحجة.

إنَّ كُلَّ ما تقدم من أقوال العلماء وغيرهم موافقًا لما ورد في الرواية التفسيرية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، وهذا يؤكِّد وحدة المنهج التشريعي عند الثقلين (القرآن والعترة).

أخيرًا فقد فصَّل الفقهاء الكلام فيما إذا لم يقم المكلَّف بالصوم وقد آنتهى شهر ذي الحجة ودخل شهر محرم، قال السيد «السيستاني» في تتمة المسألة السابقة: ((فإنْ لم يصم الثلاثة حتى أهلَّ هلال محرم سقط الصوم وتعيَّن الهدي للسنة القادمة)).

- **الآية الخامسة** / قال تعالى: ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١٧].

* عن إبراهيم بن عبد الحميد [١٨] عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: مَنْ جادل في الحج .... الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب، والجدال: قول لا واللهِ وبلى واللهِ، والمفاخرة)) [١٩].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين حكمًا شرعيًّا من أحكام الحج وهو ما يتعلق بأمور ثلاثة لا يجوز للحاج أنْ يقوم بها أثناء حجه، وهذه الأمور هي (الرفث، والفسوق، والجدال)، وقد ذكر العلماء ما يتعلق بها من أحكام شرعية لها علاقة بأحكام الحج آعتمدوا بالآية الشريفة والرواية المباركة وغيرها من روايات، قال «الراوندي»: ((الرفث ههنا عندنا كناية عن الجماع، وعن جماعة المراد ههنا المواعدة للجماع، والتعريض للجماع، أو المداعبة كله رفث، والفسوق قيل هو التنابز بالألقاب، وقيل هو السباب، وروي المراد به الكذب، والجدال فالذي رواه أصحابنا أنه قول «لا والله» و«بلى والله» صادقًا وكاذبًا)) [٢٠]، وأضاف على ما تقدم «المقداد السيوري»: ((وقيل الرفث المواعدة للجماع باللسان والغمز بالعين له، وفي الجماع ومقدماته، والفسوق التنابز بالألقاب أو السب لقوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «سباب المؤمن فسوق»، وإنَّ الجدال هو المراء بإغضاب على وجه اللجاج والمماحكة)) [٢١]، والمفسرون قد بيَّنوا ما يتعلق بهذه الأمور الثلاثة المحرمة على الحاج وإن آختلفوا إجمالاً في تفسير بعض المصاديق. [٢٢]

ومما ورد عن الفقهاء في ذلك فقد قال السيد «علي الحسيني السيستاني» «دام ظله» فيما يتعلق بتروك الإحرام: ((وإذا أحرم المكلف حرمت عليه أمور وهي خمسة وعشرون كما يلي: ٢- مجامعة النساء. ٣- تقبيل النساء. ٤- لمس المرأة. ٥- النظر إلى المرأة وملاعبتها. ١٣- الفسوق. ١٤- المجادلة)) [٢٣].

هذا ما حاولنا بيانه مما يتعلق بهاتين الروايتين التفسيريتين للإمام الكاظم عليه السلام وما في ذلك من وحدة المنهج بين القرآن والعترة، فنسأله تعالى التوفيق بالتمسك بهما، وإلى لقاء قادم مع روايات أخرى.

٩- السعي. ١٠- طواف النساء. ١١- صلاة طواف النساء. ١٢- المبيت في منى. ١٣- رمي الجمار الثلاث.

٧. فقه القرآن، تحقيق: السيد أحمد الحسيني: ٢٧٩

٨. كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق وتقديم: الشيخ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي: ٢٦٤-٢٦٥

٩. سوف يأتي ذكر الرواية الشريفة.

١٠. أي اليوم السابع من ذي الحجة، والثامن هو يوم التروية، والتاسع هو يوم عرفة، وقد سُمّيَ بـ(يوم التروية) لأنَّ الحُجاج يروون فيه الإبل ويتزوَّدون بالماء آستعدادًا للذهاب إلى عرفة. قلعجي، محمد: معجم لغة الفقهاء: ١٢٩

١١. أيام التشريق وهي أيام منى حيث يكون الحجاج فيها، وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وسُمّيَت بـ(أيام التشريق) لأنَّ لحوم الأضاحي تشرق فيها لتجف فلا تفسد، وقيل: سُمّيت بذلك لأنَّ الهدي لا يُنحر حتى تشرق الشمس. الدكتور أحمد فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٧٩

١٢. مسالك الإفهام إلى آيات الأحكام، تصحيح: الشيخ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي: ٣٧٣-٣٦٦

١٧. سورة البقرة: الآية ١٩٧

١٨. إبراهيم بن عبد الحميد الصنعاني يروي عن الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، وكان يجلس في المسجد يقول حدثني العالم عليه السلام، وقال العالم عليه السلام، وذكر عنه الفضل بن شاذان أنَّهُ صالح)). معجم رجال الحديث ٢٢٤/١

١٩. وسائل الشيعة ١٤٨/١٣ باب (ما يجب على المحرم في الجدال) الحديث ١٠

٢٠. فقه القرآن: ٢٨٣-٢٨٤

٢١. كنز العرفان في فقه القرآن: ٢٦٩

٢٢. ينظر مثلًا الطوسي، محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ١٦٤/٢، الزمخشري، محمود بن عمر: تفسير الكشاف ٢٧٠/١

٢٣. مناسك الحج: ٢٠١

١٣. مناسك الحج: ٢٠٠

١٤. الكليني، محمد بن إسحاق: الكافي ٥٠٧/٤ باب (صوم المتمتع إذا لم يجد الهدي) الحديث ١

١٥. مسالك الإفهام إلى آيات الأحكام: ٣٦٤

١٦. مناسك الحج: ٢٠١

الوعظ والإرشاد
في الأسلوب القصصي القرآني

القرآن الكريم كتاب إلهي تتجلى فيه أوامر الله وأحكامه لما فيه خير للناس كافة، وتنبعث منه الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة،فهو كما وصفه الباري (جل وعلا) بالهدى لا يُضل ولا يزل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، وكما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام (ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه)[2]. وهذا التعريف الموجز لكتاب الله تتفرع منه أكثر من جنبة يتسم بها، أولاها أنه كتاب عقائدي تشريعي يوضّح أصول الدين وفروعه، كذلك يثبّت أوامر الله وأحكامه، ويتخذ من الوعظ والإرشاد باباً للهداية والرشاد وله فيها أساليب متعددة، منها الأسلوب القصصي في القرآن الكريم، أحد الأنماط الرفيعة التي يتجلى فيها مبلغ التأثير في الذات والسلوك للشخصية المسلمة، وبالطبيعة والكيفية في الدعوة إلى الإسلام، ويتسع ذلك للتأثير إلى مستوى التنظيم المجتمعي وخلق عادات وتقاليد وسلوكيات تتماشى مع هذه العبر والمواعظ المقتبسة من العرض القصصي للقرآن الكريم، وما ورد فيه من تجارب حياتية مرّت بها الإنسانية على مَرّ التأريخ، سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات،التي ينقسم فيها المجتمع الإنساني إلى قطبين متنافرين من الخير والشر، فلا بد للنفس الحكيمة والرشيدة أنْ تتعظ مما آلت إليه مصائر الأمم السالفة جرّاء انحرافها عن جادة الصواب، واتخاذها الشر سبيلا، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3]،فيؤكد عليه السلام سبحانه وتعالى على القيمة الدلالية والعبر التي تحملها هذه القصص وكيف أن فيها هدىً ورحمةً للمؤمنين، فعلى سبيل المثال النمط السلوكي الذي تحلى به الأنبياء والمصلحون أصحاب السمات الرفيعة كالتواضع والشكر لأنعم الله فيقول (عزوجل) في داوود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4]، وكيف يجازي الله الشكر والتذلل من عباده بحسن ثواب الدنيا ونعيم الآخرة، إذ يصف سبحانه سليمان عليه السلام وما حباه من الملك وكيف أنه سلّطه على كثيرٍ من خلقه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[5] وفي الجانب الآخر من السرد القصصي يَعرض لنا أنموذجاً آخر من البشر ممن آتاهم الله الملك والقوة فأصبحوا رموزاً للكفر والطغيان وبلغ بهم الحال إلى ادعاء الربوبية كفرعون الذي تجرأ على الله في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[6] فكان جزاءه الخزي في الدنيا والآخرة﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾[7]، وما دمنا قد تعرضنا إلى قصة نبي الله سليمان عليه السلام فمن المناسب الاستفادة من الأسلوب الذي تتخذه المدرسة الإلهية في توجيه القادة والمصلحين وأساليبهم في الدعوة إلى الله وهداية الأمم والمجتمعات، فقد دعا نبي الله سليمان عليه السلام الملكة بلقيس وقومها في اليمن إلى عبادة الله، وكانوا قوماً كافرين يعبدون الشمس من دون الله، وما يهمنا في هذا المقام هو الكيفية التي عُرضت عليهم بها الدعوة الإلهية من حيث الأسلوب في الأناة وعدم التسرع وإلقاء الحجة قبل الشروع إلى الخيار غير السلمي وما يسببه من دمار وخراب للمتحاربين، كون أن هدف الدعاة والمصلحين هو

١. سورة فصلت - الآية ٤٢
٢. مركز المصطفى عليه السلام
٣. سورة يوسف - الآية ١١١
٤. سورة ص - الآية ١٧
٥. سورة سبأ - الآية ١٢
٦. سورة النازعات - الآية ٢٤
٧. سورة النازعات - الآية ٢٥

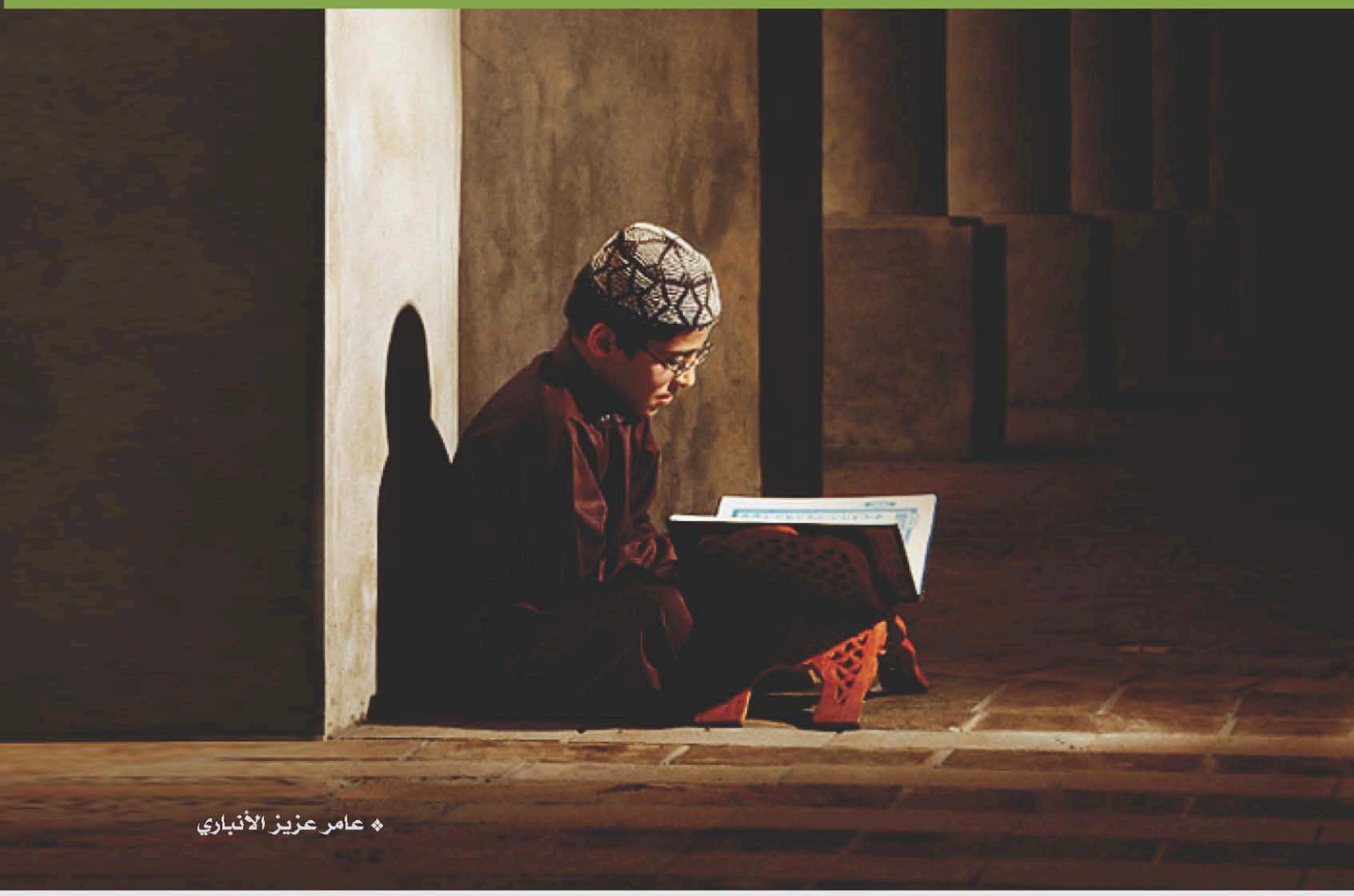

◆ عامر عزيز الأنباري

هداية الإنسانية وبناء الحياة الصحيحة وليس بغية الحصول على الملك واكتساب الغنائم، أو الحصول على مفاخر وأمجاد الملوك بالفتوحات على حساب ما يراق من دماء وزهق للأرواح، كما رسم النبي سليمان ﷺ لها ولقومها صورةً رائعةً من السمو الأخلاقي الذي يتمتع به أنبياء الله، فهو أسمى وأجلُّ من النظر إلى حطام الدنيا وبهرجها، بعد أن ردَّ لها ولقومها هداياهم فأثبت لها ولقومها أنه صاحب هدفٍ سامٍ وعقيدةٍ إلهيةٍ حقةٍ، وما آتاه الله لهو خيرٌ مما أتاهم ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٨] وتأكد لديهم بأنه نبيٌّ من عند الله وقد آتاه الله الملك والمعا جز والكرامات وأن الله سخر له ما سخر من الجنِّ والمَرَدة، ومن (لديه علمٌ من الكتاب)، فنقل لها عرشها بارتداد الطرف من قصرها إلى قصر سليمان ﷺ، فلما رأت كل ذلك من الآيات، أسلمت هي وقومها إلى رب العالمين: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩] من هنا تتضح القيمة الكبرى للدعوة السلمية إلى الله وأثر اتخاذ الخطاب العقلاني والأدلة والبراهين في حفظ دماء الناس وأرواحهم دون الاضطرار إلى المواجهة المسلحة، فالنهج القرآني يتخذ أسلوبَ آخِرِ الدواء الكيّ في الدعوة إلى الله وليس سوى ذلك، وهكذا سار على هذا المنوال نبينا الأكرم ﷺ ووصيه أمير المؤمنين ﷺ فلم يكونا ليبدءا أحداً بقتالٍ، إلا ويكون القتال من خيارات أعدائهم، ويكون القتال مفروضاً عليهم بلوغاً للأهداف السامية، ولدينا وقفة قرآنية أخرى لاستنباط العظة واستلهام الأسلوب الإرشادي في كيفية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى وإن كان مع أعتا الطغاة والجبابرة، ففي دعوة نبي الله موسى وأخيه هارون إلى فرعون إلى عبادة الواحد الأحد يقول لهما تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[١٠] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[١١] فما كان الله ليهلك أحداً إلا وهو ظالمٌ لنفسه، وقد فرض القرآن الكريم على المسلمين هذا النمط في دعوة الكافرين إلى دين الحق، اذ يُؤمّن للآخرين فرصة الاستماع إلى كلام الله، بعيداً عن القهر والإكراه، ويضمن حصول الاستقرار النفسي للفرد كيفما كان اعتقاده، لتكون له القدرة والفرصة الكافية للاطلاع على حقيقة الرسالة والتمييز بين الحق والباطل، فيقول سبحانه﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[١٢] .ولم يكن الأسلوب القصصي هو المورد القرآني الوحيد للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله سبحانه، فكان الطابع الذي اتسمت به النصوص الحوارية أشبه بما اصطلح عليه في الدراسات الإعلامية المعاصرة بالخطاب التفاعلي مع ما كان يدور من أحداث في ساحة الصراع مع الكافرين والمنافقين، وإلقاء الحجج البالغة عليهم، وهو أشد قوة وتأثيراً في المتلقي من الخطاب الذي يكون باتجاه واحد؛ اذ يضفي على النص القرآني قوة الإقناع لإدارة دفة الحوار؛ والخروج بنتائج عقلانية تؤكد منهج الحق وتزهق الباطل.

٨. سورة النمل - الآية ٣٦
٩. سورة النمل - الآية ٤٤
١٠. سورة طه - الآية ٤٣
١١. سورة طه - الآية ٤٤
١٢. سورة التوبة - الآية ٦

أهل الإعاقة
في المنظور القرآني

غفران كامل كريم

إن الذي نؤمن به ونُصرُّ عليه هو أن النصَّ القرآني أطلق العنان للعقل الإنساني للبحث في كوامن الحقائق، وأعطى لكل من ألقى السمع وهو شهيد تذكرة التحليق في آفاق أرحب وأبعد من فضاء الدائرة العرفية وشريعة المجتمع الذي أعطى دعوتاً في أحيان كثيرة لا تُعبّر عن واقع وليس لها من الصحة نصيب، من قبيل إطلاق تسمية المعاق على الذي فقد جارحة من جوارحه، أو تضرر جزءٌ من جسده، أو أصاب العجز أو القصور موضعاً من بدنه كالأشخاص المصابين بالشلل، أو كف البصر أو فقدان حاستي النطق أو السمع... إلا أن النداء السماويّ يأتي محللاً فيوقظ الناس من الوهم ويحررهم من المغالطة، ويبيّن لهم بعيداً عن اللف والدوران أن الإعاقة الحقيقية هي إعاقة العقل لا الجسد، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]، صرّحتْ هذه الآية الكريمة والتي بدأت بسؤال استنكاري، أن الإعاقة التي يُخاف منها هي إعاقة النفوس لا الجوارح المادية، وحتى الموروث الرواتي لرسول الله ﷺ جاء متعاضداً ومتناسقاً مع هذا المفهوم القرآني، فقد جاء عنه ﷺ: (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)[2]، ليؤكد ﷺ إن العمى الحقيقي هو عمى البصيرة لا البصر، فكافة الإعاقة إذا ما أصابت الفكر أفقدت الإنسان إنسانيته ونزلت به إلى مرتبة الحيوانية، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3]، وفي موضع آخر قال عز من قائل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4]، بل أسوء من ذلك فهم موتى بالتعبير القرآني: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[5]، فعي العقل القرآني ليس للجوارح قيمة ما لم يحكمها أمير وهو عقل راجح وفكر سليم حتى يوجهها بالاتجاه الصحيح، ويبرمج عملها بشكل منظم، أما مع إعاقة الروح تبقى تلكم الجوارح معطلة -وإن كانت سليمة- لا يستفاد منها ولا يُستحصل بها الفلاح أو النجاح، فليس لها قدرة تمييز الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[6].

والجدير ذكره والمثير للاهتمام حقاً أنّ القرآن الكريم إذا ما تطرّق إلى ذكر أهل الإعاقة الجسدية -إن صح التعبير- ذكرهم بالتبجيل والتكريم، حثاً للناس على التعاطف معهم ورعاية مشاعرهم واظهار الاحترام لهم، وهذا يمثل دروة الرقي في التعامل داخل المجتمع الإنساني، فالقرآن الكريم بدكر أناه الليل وأطراف النهار قصة ذلك الرجل الضرير (ابن أم مكتوم) في سورة عبس، وقد أوضح الإمام الصادق ﷺ: إنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذّر منه وجمع نفسه، وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله ذلك وأنكره عليه)[7]، قال تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ*أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ*وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ*أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ*أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ*فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ*وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ*وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ*وَهُوَ يَخْشَىٰ*فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ*كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ*فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ)[8]، هكذا رعى تعالى مشاعر ذلك الرجل الأعمى على الرغم من أنه لا يرى وجه ذلك الرجل الذي اشمأزّ منه، ولم يشعر أو يتحسس عبوسه في وجهه، إلا أن الله تعالى أنكر هذا الانتقاص لابن أم مكتوم.

وأيضاً رفع تعالى عن هذه الشريحة تكليف الجهاد وحمل السلاح والخروج على الأعداء، على الرغم من إنّ الدولة الإسلامية كانت فتيّة وحديثة العهد وبأمس الحاجة إلى المقاتلين من الرجال، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[9]، كما وشجع المنهج القرآني على إشعارهم بقيمتهم ودائيتهم وعمل على دمجهم في مجتمعهم الإنساني الكبير بعيداً عن نظرة الدون والنقص، والانصواء تحت مظلة قاعدة الأفضلية للأتقياء لا سواهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[10]، وفي ملحظ يعبّر بالإنسانية والمشاعر النبيلة يطلب رسول الله ﷺ من الأسوياء أن لا يطيلوا النظر إلى هذه الفئة المعبر عنهم بـ(أهل البلاء)، فقال ﷺ: (إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعوهم فإن ذلك يحزنهم)[11]، وعن أبي عبد الله ﷺ قال: (لا تنظروا إلى أهل البلاء فإنّ ذلك يحزنهم)[12]، فنستشف من ذلك أن من ابتلاه الله تعالى بنقص في جسده في هذه الحياة الدنيا فهو حبيبه، لأنه تعالى (إذا أحب عبداً ابتلاه) كما يقول رسول الله ﷺ.

---

١. سورة الحج، الآية ٤٦.
٢. ميزان الحكمة محمدي الريشهري، ج١، ص٦٦٦.
٣. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
٤. سورة الأنفال، الآية ٢٢.
٥. سورة الأنعام، الآية ٣٦.
٦. سورة الأنفال، الآية ٢٣.
٧. التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج٢، ص١٤٠٤.
٨. سورة عبس، الآيات ١-١٦.
٩. سورة الفتح، الآية ١٧.
١٠. سورة الحجرات، الآية ١٣.
١١. الكافي، الكليني، ج٢، ص٩٨.
١٢. بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٧، ص١٦.

كيف السبيل والمسير

مرَّ في العدد السابق أنَّ الإنسان كائن عاقل، يسير نحو الكمال بأفعاله الإرادية المتوقفة على العلم، وكان السؤال المهم هو، من أين تأتي المعلومات؟ وتفرَّع عنها تساؤل آخر حول يقينيتها، وما هي المواد اليقينية للمعرفة الإنسانية المتفق عليها، فاعتمدنا على أدوات المعرفة الحسية والعقلية، واستعنا بها في الدليل الأول (برهان الإمكان)، و في هذه الحلقة سنتعرَّض لدليل آخر وهو برهان النظم، نذكره على هذا النحو:

الشيخ قاسم الخفاجي

إن العالم موجود وهو أمر واقعي لا نتخيله في أذهاننا فقط، أتفق على هذا الأمر الإلهيون والماديون الذين لم يؤمنوا بالخالق تعالى شأنه، ولم يشذ إلا المثاليون الذين أنكروا أن يكون هناك شيءٌ وراء الذهن وهذا القول وأصحابه لا يعتد به، وفي هذا العالم أوقات الزمان فيه مقسمة إلى ساعات وأيام وأسابيع وشهور وسنين بسبب حركة الأفلاك، تشرق الشمس صباحاً من مكان وتغرب في مكان آخر، والنجوم والكواكب لها تحرك معلوم لا تتخلف فيه، وللناس في حياتهم نظام للتنفس ونظام للأكل والشرب والوقاية، وكل هذه الأشياء التي نراها، كما مر سابقاً، لم توجد من ذاتها بل لها موجد، لكن هناك أمر آخر غير مسألة الاحتياج إلى العلة، وهو أننا حينما ننظر في دقة الصناعات أو النظم الإدارية والتجارية أو غيرها نكون متيقنين أنها لم تأت إلا بكفاءة، وكلما أحكمت الصناعة أو النظـام الإداري وغيرهـا نستيقن أنَّ مصممها وواضعها أكثر إبداعاً من غيره، وهنا يظهر قول البعض أنَّ دلالة الأثر تتجلى بصورتين الأولى أنَّ له صانعاً، وهو ما مر علينا في العدد السابق، والثانية تجلي خصوصيات من الصانع، فإنَّ المصنوع يدلل على قدرة الصانع وعلمه.

ومن هذا التنظير ننطلق إلى كوننا الفسيح المترامي الأطراف، فإنَّا عندما ننظر للكون نراه خاضعاً لنظام محدد من الذرة إلى المجرة، كشفت العلوم الطبيعية عن بعضه، وما زالت تحقق المزيد من الاكتشافات مع تطور أدوات العلوم، وعليه يراودنا السؤال التالي، هل الصانع لهذا الكون بعمق تفاصيله العجيبة والكثيرة عالم قادر، أم مادة عمياء صماء لا تعي شيئا؟ الأمر مردد بين اثنين لا ثالث لهما.

لا شك ولا ريب أننا سندعم الشطر الأول، ونرد الثاني الذي يقول إنَّ المادة الصماء العمياء هي التي قامت بنفسها بإجراء السنن والقوانين الدقيقة، وأضفت على نفسها السنن الدقيقة بسبب انفعالات مستمرة حدثت في داخلها وانتهت على مر القرون إلى هذا النظام العظيم.

وقد يكفينا مثال واحد من نوع واحد من هذه الموجودات الكثيرة وهو الغدة النخامية الموجودة في الإنسان، معتمدين على وصف علماء التشريح في وصفها، فهم يقولون: إنها غدة تقع في أسفل الدماغ لها ثلاثة فصوص الفص الأمامي، والفص الخلفي، والفص الأوسط، وهي تفرز هرموناتها بتنظيم وإدارة دقيقة جداً، فإذا زاد إفراز هذه الغدة من هرمون النمو تحدث ضخامة وطول غير طبيعي في الجسم (العملقة)، أما إذا حدث زيادة بعد البلوغ فإنها تسبب مرض (العملقة الطرفية) وهو ضخامة في اليدين و القدمين دون باقي الجسم، والعكس صحيح أي إنَّ قلة إفراز تلك الغدة لهرمون النمو يؤدي إلى بطء النمو وقصر القامة (القزامة).

١ - موسوعة ويكيبيديا.

ونحن إذا تدبرنا في طبيعة التكوين الكيميائي والفيزيائي لسوائل هذه الغدد وأنظمتها الدقيقة ومنافعها، تبين لنا أن وجودها لا يمكن وصفه بكونه مجرد صدفة عمياء لا تعقل ولا تعي، بل هي دقة الصنع الدال على دقة النظام، وكذلك الكلام في الغدد الأخرى في جسم الإنسان لها أثرها وفائدتها فلو عُدمت أو زادت إفرازاتها أو نقصت أثرت تأثيراً سلبيّاً فيه.

لقد أشار مولانا الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام لهذا المعنى قبل ألف وثلاثمائة عام ليدلل لأحد تلاميذه على دقة الصنع المخلوق الدال على أنّ الخالق قادر عالم، فقد قال للمفضل بن عمر: تأمل الريق وما فيه من المنفعة، فإنه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم، ليبل الحلق واللهوات فلا يجف، فإنّ هذه المواضع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الأسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً، إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه، تشهد بذلك المشاهدة، واعلم أنّ الرطوبة مطية الغذاء، وقد تجري من هذه البلة إلى مواضع آخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان، ولو يبست المرة لهلك الإنسان[٢].

وبدقة النظام استدل الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام على أحد الماديين (الزنادقة) في إثبات الصانع القادر العالم، قال له عليه السلام: إني لما نظرت إلى جسدي ولم يمكني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات، علمتُ أن لهذا مقدراً ومنشئاً[٣].

برهان النظم في القرآن:

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ[٤]﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٥]﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[٦]﴾

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[٧]﴾

في هذه الآيات يجد العاقل الحر أنّ أنظمة الكون تجري بإرادة وحكمة عالم قادر حكيم، وهي تعضد العقل بأنّ للوجود علة أبدعته فيها كل صفات الكمال، لا كما يزعم الطرف الآخر بأنّ الوجود حدث من مادة غير واعية ولا هادفة.

٢ - التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي ص٣٤.
٣ - الكافي للشيخ الكليني (٧٩/١).
٤ - سورة فاطر الآية ٩.
٥ - سورة البقرة الآية ١٦٤.
٦- سورة النحل الآية ١٠.
٧ - سورة النحل الآيتان ٦٨- ٦٩.

القرآن ومفهوم الشفاعة

سمير جميل الزبيدي

لطالما كانت مسألة الشفاعة من المسائل الخلافية الشائكة التي توسع في باعها الموحدون لها والمجالعون (المثبتون لها والمنعون)، وتناولها المتقدمون بالدرس والتمحيص، وعرّج عليها المتأخرون بالأدلة المستحدثة والبراهين المبتكرة، ولأهمية هذه المسألة ارى كثير من العلماء والمفكرين على اختلاف مشاربهم في خوض غمارها، وهم يحملون على عاتقهم شواهد وآيات قرآنية يزعمون انها تدعم آراءهم، وحتى نعلم حقيقة زعم كل فريق ومدى صحة معتقده، لا بد أنْ ندرس الأدلة المقدمة وحواياتها والشبهات المطروحة والرد عليها، فقد أثار بعض الذين أنكروا الشفاعة إشكالات متعددة، منها إشكالهم على شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، بل إنهم بعضهم من الأصل، بدعوى أنّ مرتكب الكبيرة كافر، والكافر مخلد في النار ولا ممنوع هنا للشفاعة، ويرد عليهم بالقول صحيح أن الكافر لا تشمله شفاعة النبي ﷺ ولا شفاعة الشافعين، ولكن لا دليل ولا ممنوع شرعي يجعل مرتكب الكبائر في حالة الكفر، ولا يقول بكفره أيٌّ من المذاهب الإسلامية باستثناء الطائفة المعالية (الخوارج)، وانما هو عندها فاسق أو هو في حكم الفاسق، لذا فعلى مدعي هذا الرأي أن يثبت أولاً أن مرتكب الكبيرة كافر، ثم يثبت بعدها أنه خارج دائرة شفاعة النبي ﷺ، وكما قال المناطقة لكي تثبت المقدمة الكبرى عليك أولاً أن تثبت المقدمة الصغرى، وذهب آخرون إلى القول بأن مجرد الإيمان والاعتقاد بشفاعة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ يجر إلى الإغراق في الطلب والاستعانة بهم على نحو مسالم فيه، بحيث يُتخذ منهم واسطة بين الطالب وبين المطلوب منه (الله عز وجل)، وهذا هو الشرك بعينه وعبادة أهل الجاهلية الأول: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، أو أن تصل النوبة بالطالب أنْ يستعرق بذات النبي أو بذوات أهل بيته وبنسي ربه، وهذا الكلام لا ورد له فكأنه حتم عليهم أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أثبت الشفاعة لهم بأدنى فقال عز من قائل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[2]، وأنّ الله هو الذي بشّر عباده المؤمنين بشفاعة النبي وأهل بيته ﷺ في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3]، وقد ذهب أهل البيت ﷺ ومعظم المفسرين إلى أن معنى (قدم صدق) هو رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ ففي رواية (علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عمن ذكره، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ فقال: هو رسول الله ﷺ)[4]، وبالإسناد نفسه، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿بشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال: ولاية أمير المؤمنين ﷺ﴾[5]، فتمسك الإمام الصادق بهذه الآية إنما يصرف إلى دلالتها على الشفاعة، ولا معنى ثان لها يمكن أنْ تصرف له، وقد جاءت السنة مؤيدة ومؤكدة لهذا المعنى ففي الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا ﷺ عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا

١ - سورة يونس، الآية ١٨.
٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
٣ - يونس، الآية ٢.
٤ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ٣٦٥.
٥ - المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٢.

أنائه الله شفاعتي)[1]. وفي مصمار آخر حاول بعض المنفين للشفاعة صرف الآيات الصريحة بالشفاعة إلى غير معناها، وحملها على غير وجهتها تجهلهم بآيات القرآن، فقد تمسكوا مثلاً بقوله تعالى - ﴿فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾[2] على نفي الشفاعة، على الرغم من أن هذه الآيات لها دلالة واضحة على إثبات الشفاعة وليس نفيها، لكنها غابت عن فهمهم وإدراكهم، فلم يلحظوا أن ظاهر الآيات في الكفار خاصة، ولو أنهم أمعنوا النظر في الآيات التي سبقتها، لوجدوها ظاهرة في كفر هؤلاء، ففي الآية ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾[3]، هم يخاطبون معبوداتهم من دون الله ويعترفون بشركهم لله سبحانه وتعالى وبضلالهم ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾[4]، بل ويقسمون على ضلالهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾[5]. ولما ثبت أن الآيات ثابتة بحق الكفار بدلالة القرائن الموجودة، يتولد عندنا فهمان، الأول يفهم من منطوق الآيات أن لا شفاعة للكفار، والثاني يفهم من مفهومها المخالف أن الشفاعة للمؤمنين ومن ارتضى الله منه دينه، كما أن النهاية العامة للآيات تها دلالة على وجود الشفاعة؛ وذلك لأن أهل النار لو لم يكن في علمهم ولم يروا يوم القيامة شفعاء يشفعون للمؤمنين الذين ارتكبوا الكبائر لما أبدوا الحسرات، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (في هذه الآيات دلالة على وجود الشفاعة، قال - وذلك أن أهل النار لو لم يروا يوم القيامة شافعين يشفعون لبعض من استحق العقاب فيشفعون ويخرجون بشفاعتهم من النار أو يعفون عنها بعد الاستحقاق، لما تعاظمت حسراتهم ولا صدر عنهم هذا المقال لكنهم لما رأوا شافعاً يُشفع فيشفع، وصديقاً حميماً يشفع لصديقه فيشفع، عظمت حسراتهم عند ذلك فقالوا -(فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين)[6]. ونتساءل آخرون عن ضرورة شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ما دامت الشفاعة في رحمة الله تعالى بعباده، وأن رحمته ومغفرته وسعت ونسع كل شيء، وهي تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وجوابه مقتضى الرحمة الإلهية أن يكون لها أنواع وأشكال مختلفة فمنها المباشر ومنها غير المباشر، ومنها في الدنيا، ومنها في الآخرة، فلا مانع أن ترتبط رحمته بطريق غير مباشر وهي الشفاعة، لتشمل أكبر عدد ممكن من عباده من ناحية، وبيان كرامة أنبيائه وأوصيائه من ناحية أخرى، إذا لا مانع عقلي على إثباتها لهم، وأنها ثابتة بالدليل عند المسلمين، وقد تمسك بعض المخالفين فقالوا نعم هي موجودة لزيادة المنافع والدرجات وليس مقتضاها إسقاط الذنوب ودفع العصار عن المذنبين وأصحاب الكبائر، وجوابه بطلان هذا القول لأنه لو كان كما يقولون لدعانا لرسول الله صلى الله عليه وآله برفع منزلته وزيادة كرامته وبلوغ مقامه المحمود، يجعلنا في مقام الشافعين له، ولا أحد من المسلمين يقول بذلك، فثبت الشفاعة في إسقاط الذنوب.

١ - الكافي، ج٨، ص٤٠.
٢ - سورة الشعراء، الآية: ١٠٠ - ١٠١.
٣ - سورة الشعراء، الآية: ٩٨.
٤ - سورة الشعراء، الآية: ٩٩.
٥ - سورة الشعراء، الآية: ٩٧.
٦ - سورة الشعراء، الآية: ١٠٢.

١١ - الأصول الأصلية، الشيخ المفيد، ص ٤٠

القارئ الشيخ
سيد متولي عبد العال
عمق الإحساس ورصانة الأسلوب

ولد القارئ الشيخ سيد متولي عبد العال، بمحافظة الشرقية، قرية الضدادنة،مركز فاقوس، (١٩٤٧/٤/٢٦) م وفي سن الخامسة من عمره أخذه والده إلى كتّاب القرية عند الشيخة (مريم السيد رزيق) التي قامت بتلقينه آيات الذكر الحكيم، ولما بلغ السادسة من عمره ألحقه بالمدرسة الابتدائية بالقرية فلم ينشغل بالدراسة عن القرآن الكريم، ظل يتردد على كتّاب الشيخة مريم حتى أتم حفظ القرآن كاملاً في سن الثانية عشرة، ثم ذهب به إلى الشيخ (الصاوي عبد المعطي) ليتلقى عليه علوم القراءات وأحكام التجويد، وبعدها حصل الشيخ متولي على المأذونية خلفاً لأستاذه الشيخ الصاوي ليصبح قارئاً للقرآن ومأذوناً لقريته الضدادنة، ثم تلقى علوم القرآن والقراءات على يد الشيخ طه الوكيل، بعد ذلك ذاع صيته في محافظة الشرقية، وانهالت عليه الدعوات من كل أنحاء الشرقية، وبدأ يغزو المحافظات الأخرى المجاورة لإحياء المآتم، ذاع صيته في بعض الدول العربية والإسلامية من خلال تسجيلاته على شرائط الكاسيت، سافر الشيخ سيد متولي إلى كثير من الدول العربية والإسلامية، لإحياء ليالي شهر رمضان لتلاوة القرآن الكريم بأشهر المساجد والأماكن المقدسة ومنها العتبة الكاظمية المقدسة، توفي رحمه الله يوم الخميس، (١٦- ٧ - ٢٠١٥)م.

✤ يحيى الصحاف - أستاذ علم الصوت والنغم القرآني

الأسلوب

لم يُعرف عن السيد متولي على أنه قارئ مُقلِّد لقارئ آخر، وإنْ كان متأثراً ببعض الاداءات التي قدموها القرّاء الآخرون، فإنَّ هذا التأثر لم يأخذ فرصته وانعكاسه على تلاوته بصورة واضحة؛ لأنَّ الأسلوب الذي تبناه وسار على نهجه يعد هو الأقوى، والأبرز، ويتمتع بخصوصيةٍ لا تقبل الشك على أنها من صميم نتاجه وأصل فكرته، وقد استطاع أنْ يستثمر في أسلوبه ما يمتلكه من قدرة تعبيرية وإحساس عميق، فيه بيان المعنى وحسن التدبر وكياسة الأداء، كما كان متمكناً في استثماره لموهبته الصوتية الرائعة، وتفعيل مكامن الجمال فيها، وإبداء مهاراته العالية التي حقق من خلالها روائع الجمل ونوادرها، حتى أخذت نصيبها الكبير الذي لا يقل قيمة وثراء عما كان يقدمه أقرانه في حقبته الزمنية، إنَّ حسن إدارته وتوظيفه السليم جعل منه قارئا كفوءً، يسير وفق المسارات الصحيحة والحسابات الدقيقة، فكان أسلوبه مبنيّاً على مقدار ما يتمتع به من إمكانية وقدرة أدائية عالية، وقد أعطى لكل خصيصة من خصائص صوته دورها ومهمتها بحسب كفاءتها، وإظهار صورتها اللائقة بها، فجعل أسلوبه مبنيّاً على قدر ما تستطيع أنْ تقدمه مؤهلاته وخصائصه من دون تكلف أو نقص في بيانها واستثمارها، وهذا ما أعطى لنتاجه المتانة والرصانة والجمال.

الجمال والجاذبية الإحساس

يعد صوته من الأصوات الجميلة الصافية النقية المتميزة بعذوبتها ووضوحها وزخرفتها، وملاحتها التي اكتسبها من بيئته الريفية وجمال طبيعتها، كما في صوته جاذبية آسرة مؤثرة تسرق السمع في لحظة وصولها إليه، فلو كنت في مكان ما وتناهى صوته إلى مسامعك، حينها ستنتبه وتلتفت بشكل مباشر له، وإنْ كنت غير قاصد الاستماع إليه، ولذلك أنَّ اغلب من يستمع إلى صوته ينجذب ويتأثر فيه قبل أنْ يتعرف على أي شيء من ملامحه، لما يستشعره من حالة تناغمية جذابة يهيم بها قلبه، وتطمئن لها نفسه،مع أنَّ الجاذبية تختلف عن الإحساس تماماً، فهي ليست معنىً واحداً كما يضنه بعض المختصين، فالإحساس صفة غير متأصلة في الصوت، إذ يمكن للمؤدي أنْ يطور هذه الخصيصة من خلال تفعيل قدرته التعبيرية في أدائه، والتي تعتمد على فهم النص والتعايش الصادق معه والقدرة على تجسيده وإيصاله، أما الجاذبية فهي صفة أصلية طبيعية متكونة في (جرس الصوت) وناتجة منه، وهذا ما يكون في أصوات دون أخرى بحسب (جرسها)، فالصوت الذي فيه الجاذبية يكون مؤثراً على المستمع من خلال نغمته المتأصلة فيه (الجرس)، و من دون أنْ يفهم المستمع ما ينطقه ذلك الصوت، فالعبرة هنا في أصل الصوت لا في قدرته التعبيرية للكلام، أما الإحساس فقيمته ناتجة من قدرته التعبيرية للكلام، وليس من أصل الصوت، فكما وهبه الله الجمال والجاذبية في صوته، منحه قدرة عالية في إحساسه، فهو القارئ الذي كان يتأنى كثيراً في أدائه وصياغته للمفردة الواحدة، حتى يتدبرها ويتفاعل معها ويعيش حالها، ثم ينطقها وكأنها منبعثة من أعماق قلبه ووجدانه، فتصل إليك صادقة بتعبيرها وخالصة بإحساسها.

مهارته الصوتية ومقدرته الأدائية

يمتلك هذا القارئ طاقة تنفسية عالية جدّاً، مكنته من أداء آيات عدة وبجملة واحدة تصل إلى أكثر من (خمسين ثانية)، في منتهى الانسيابية والاسترسال، ومن دون تكلف أو تعسف، علماً أنَّ هذه الجمل كانت تحظى بتلوين وزخرفة وتصرفٍ كبير، وهذا يعني أنها بحاجة إلى اكبر كمية من الهواء، وأكثر مهارة في كيفية توزيعه وتصريفه دون أي إسراف فيه،

ينتمي صوته إلى تصنيف (الباريتون الثاني)، وهذا ما يجعله على مقربة من التصنيف الأعلى للأصوات الرجالية وهو (التينور)، كما في صوته مساحة واسعة وبالأخص مداه الصوتي، الذي يضم فيه (أربعة عشر درجة) تقريباً، وكان لمهارته العالية دورها في طبيعة استخدامها لتلك الدرجات وتفعيل مناطقه الصوتية من خلالها، حتى أعطى لكل منطقة ثمرتها ونتاجها، فقد كان يتمتع بقرارٍ عميق واضح وجواب عال مهذب ومنغم، أما منطقة الوسط من صوته فهي لا تقل جمالاً ووضوحاً واستقراراً عن مناطقه الأخرى، إلا أنَّه لم يمنحها فرصتها الأدائية الكافية، وذلك بسبب طريقته التي اعتاد عليها في تفعيله وإشغاله لمنطقة القرار وبداية منطقة الجواب، ثم جواب أعلى، والحقيقة أنَّ الجوابات في أدائه لها طعمها الخاص، ومذاقها المتميز، حيث استطاع أنْ يقدم من خلالها أروع وأبدع الجمل من حيث الارتكاز والهيمنة، والإحساس والتنغيم، والعذوبة، لقد اعتمد في تعاطيه وتعامله مع الجملة الواحدة على إظهار جمالها وعذوبتها وتلوينها وزخرفة مفرداتها، وتصويرها بإحساس عميق يفصح عن مضامينها، كما كان بارعاً في طريقة صياغتها والحفاظ على مساراتها وإتقان قفلاتها، علماً أنَّ هذه الجمل لم تأخذ حيزاً واسعاً في تنويعها الأدائي، إلا أنها كانت بصمة إبداعية بلون جديد، أعطت صورة واضحة عن فكرته السليمة وطريقته الجميلة، فكان أداؤه بعيداً عن أي نوع من المبالغة أو الإسراف في عملية التلوين، أو التنغيم، أو التطريب وغيرها، وذلك بسبب اعتقاده التام على أنَّ طريقته التي اتبعها تسير على خطى السلامة والنجاح والتألق والإقناع، والتي كسب من خلالها العدد الكبير من المستمعين، وكذلك القراء المعجبين الذين سعوا بكل جهدهم على تقليد هذا الأداء أو محاكاته.

متانة الأداء وإتقانه

ان السيد متولي من القراء المتميزين الذين يتمتعون بالهدوء والروية، والاستكانة والتأني، وكان شديد الحرص في الحفاظ على استقرار أدائه وتنسيقه، وانسجامه وانسيابيته، حتى جعل منه أداءً مرتكزاً ومتزناً لا يشوبه الخلل، ولا يمسه الضعف، وهذا ما أعطى لتلاواته مزيداً من المتانة والرصانة، ومنحها الهيبة والشموخ والوقار، إنَّ حرصه واعتناءه في ترتيب وتنسيق الأداء لم يكن بأكبر من حرصه واهتمامه في إتقان التجويد وتطبيق أحكامه، وهذه واحدة من الصفات التي تألق بأنجازها وتحقيقها على أتم وجه، فكان لسانه فصيحاً، ونطقه سليماً، وتطبيقه سديداً، يصوغ حروفه بحرفنة وذكاء، لتصل الى مستمعها بوضوح وجلاء.

متولي والجمهور

يعد صوته من الأصوات القوية الواضحة،والقادرة على مواصلة الأداء لفترة طويلة بكل حيوية ونشاط، لا يشوبه خمول أو ضعف، ينهي أدائه كما يبدأ، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على كفائة وحسن توظيفــه السليم، وتعامله الرائع مــع خصائصــه ومؤهلاته الصوتية، وكيفية توزيعه الأدوار فيما بينها، ومن هنا استطاع أنْ يبدي مناغماته الملفتة والجميلة مع الجمهور، وكان في غاية من القدرة على خطف أسماعهم وجلب انتباههم إليه، والحقيقة إنَّ الجمل الأدائية التي كان يمنحها إليهم، وخصوصاً في جواباته العالية، ونفسه الطويل، وجمال صوته، وعذوبة زخارفه، وفصاحة نطقه، ووضوح حروفه، وروعة قفلاته، وحسن ارتكازه، ومتانة أدائه، كانت بمثابة السر الذي حقق من خلاله النجاح والإقناع، والعشق الكبير، الذي رسخه في قلوب مستمعيه.

الجوادين
قناة الجوادين

كن قريباً ...
من حضرة موسى والجواد عليهما السلام

بالاشتراك معنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي

إذاعة الجوادين 89.5FM

قناة الجوادين AljawadainTv

الموقع الرسمي www.aljawadain.org